(٤٧)

سياسة إعادة البناء (البيروسترويكا)
في القوات المسلحة السوفيتية وموقف العسكريين
من هذه السياسه

مستشار د. خير الدين عبد اللطيف محمد

اغسطس ١٩٩١

تهدف هذه السلسلة الى اقامه الحوار العلمي بين المشتغلين بالبحث والتدريس في علم السياسة، وذلك بنشر بحوث تتناول وجهات نظر منهجيه او دراسات تتعلق بالظواهر السياسية موضع الاهتمام الاكاديمي ، وتخضع بحوث السلسة للتحكيم من قبل اثنين من الاساتذة المتخصصين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سياسة إعادة البناء (البيريسترويكا) فى القوات المسلحة السوفيتية وموقف العسكريين من إصلاحات جورباتشوف فى ظل سياسته الامنية الجديدة.

تتناول هذه الدراسة التحولات والتغييرات التى أدخلها الرئيس جورباتشوف فى السياسة العسكرية السوفيتية فى إطار سياسة إعادة البناء الشاملة "البيريسترويكا" والانفتاح والعلنية "الجلاسنوست" وموقف العسكريين منها، وتاثيرها على موقف جورباتشوف الداخلى والخارجى، وعلى العلاقات بين الشرق والغرب، وأيضا بالنظر إلى ما تنطوى عليه من آثار على المجتمع السوفيتى نفسه وعلى مجمل إصلاحات جورباتشوف فى المجالات الاخرى باعتبار ان النجاح فى تنفيذ الاصلاحات المستهدفة فى القوات المسلحة يعتبر مؤشرا طيبا على مسار العملية الاصلاحية الشاملة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وتتناول الدراسة التغييرات والتحولات التى طرأت على السياسة الخارجية السوفيتية والاستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية، وسياسة القوى البشرية العسكرية وسياسة الصناعات العسكرية والتنظيم العسكرى، فضلا عن تناولها لطبيعة العلاقة بين الحزب والقوات المسلحة .

وأود بداية ألا تترك هذه الدراسة الانطباع بأن ما ظهر من همهمات فى القوات المسلحة إزاء بعض السياسات قد يعنى احتمال قيام انقلاب عسكرى أو تشكيل القوات المسلحة عائقا أمام سياسات جورباتشوف، فالاغلب ان الجيش سيظل اداة طيعة للسلطة ، كما كان دائما فى التاريخ الروسى. إلا أن المسرحين من القوات المسلحة من الضباط والجنود واحتياجاتهم وضرورات إعادة دمجهم فى الحياة المدنية قد يمثلون عبئا على الاقتصاد السوفيتى فى المراحل الاولى مثلهم مثل سياسة تحويل الصناعات العسكرية التى تجمع الآراء على انها فى سنواتها الاولى تحتاج إلى انفاق يفوق المردود كما انهم قد يشكلون - بعد فقدان امتيازاتهم -

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاصة للذين كانوا يخدمون فى الخارج ـ وعنصر الامان فى الحصول على احتياجاتهم ـ مركزا للسخط الاجتماعى .

عام

غير جورباتشوف وانصاره من مفهوم الامن القومى السوفيتى بطريقة جذرية. فنجده ينتقل به من التركيز على مذهب بريجنييف القائم على القوة العسكرية إلى التركيز على الوسائل السياسية. وقطع جورباتشوف طريقا طويلا وشاقا حتى تمكن من تحويل المكتب السياسى لصالحه وبالتالى إقرار سياسته الامنية الجديدة، وضمان استمرار التاييد لها ، فقد حصل جورباتشوف فى البداية على تاييد لمبدأ التفاوض مع الغرب للتوصل إلى خفض متناظر فى الاسلحة Negociated Symmetrical Cuts ثم حصل على تأييد لموقف اكثر توفيقا مع الغرب وهو التفاوض لازالة الاختلال وعدم التناظر الذى اقر جورباتشوف بوجوده فى صالح حلف وارسو negoeiatedasymmetrical cuts واخيرا ذهب جورباتشوف إلى مدى ابعد بالإعلان فى الامم المتحدة فى ديسمبر ١٩٨٨ عن خفض فى اسلحته وقواته من جانب .

وعلى طريق تجسيد ودعم مفهومه عن إمكانية تحقيق الامن من خلال الوسائل السياسية اظهر جورباتشوف استجابة واضحة لتبديد مخاوف الغرب وقلقة بخصوص المخالفات السوفيتيه فى مجال حقوق الانسان، واستعدادا غير مسبوق لقبول التفتيش والتحقيق فى الموقع دون حق الرفض على المنشآت والتسهيلات العسكرية السوفيتية ، ورغبة فى فتح المجتمع السوفييتى لاتصالات واسعة وحوار متنوع مع العالم الخارجى فى كافة المجالات .

وتشير تحركات جورباتشوف إلى أنه ـ خلافا لاسلافة ـ يربط سياسة التعاون مع الغرب بالاصلاحات السياسية الليبرالية الداخلية التى يسعى إلى تحقيقها ، والى أنه يسعى إلى تحقيق تحول إيجابى دائم ومستقر فى طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويثور التساؤل بطبيعة الحال حول مدى نجاح جورباتشوف من عدمة فى إكمال وإتمام شوط الاصلاح إلى مداه . إذ تواجه سياسته مقاومة من مجموعات مختلفة فى الحزب والجيش وفى جهاز الاستخبارات (KGB) التى تخشى من انعكاسات وتداعيات سياسية جورباتشوف المتفتحة على الامن والاستقرار الداخلى للبلاد. كذلك يواجه جورباتشوف تحديا خطيرا وهو إصلاح اقتصاد البلاد المتردى وتلبية احتياجات المستهلك السوفيتى الذى ضاق ذرعا من نقص السلع الاستهلاكية فى كل مكان .

وأود أن أوضح هنا ان السياسة الامنية الجديدة التى صاغها جورباتشوف لاتتناول الجانب العسكرى فقط وإنما تتناول إلى جانبه أيضا الجوانب السياسية والاقتصادية والانسانية نظرا لتشابك هذه الجوانب واستحالة فصلها عن بعضها البعض سواء على صعيد السياسة السوفيتية الداخلية أم على صعيد العلاقات الخارجية خاصة بين الشرق والغرب. وبهذا المعنى تشمل سياسة الامن القومى السوفيتية الجديدة البرامج العسكرية والمبادرات الدبلوماسية والاختيارات الاقتصادية والاتصالات والعلاقات الإنسانية والثقافية الخارجية.

غير أن الذى يعنينا لاغراض هذه الدراسة رصد التحولات والتغييرات التى ادخلها جورباتشوف على السياسة العسكرية السوفيتية فى اطار سياسة إعادة البناء الشاملة "البيريسترويكا" والانفتاح والعلنية "الجلاسنوست" وموقف العسكريين منها، وتأثير هذه الاصلاحات والتغييرات على موقف جورباتشوف الداخلى والخارجى . فقد حدثت تغييرات واصلاحات ضخمة فى السياسة العسكرية السوفيتية وهى تطورات تثير تساؤلات جوهرية حول طبيعة النظام السياسى السوفيتى وطبيعة التهديد العسكرى السوفيتى. ومن ثم فإن محاولة تقييم التغييرات التى حدثت فى السياسة العسكرية السوفيتية مسألة مهمة وحيوية بالنظر إلى تأثيراتها الجوهرية على حسابات الامن الغربى. ونظرا لتعقد هذه المسألة وتناولها فقد رأيت أن أعرض لها فى اطار واضح يشمل عناصر محدده : السياسة الخارجية ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستراتيجية العسكرية، العقيدة العسكرية ، القوى البشرية العسكرية ، الصناعات العسكرية ، التنظيم العسكرى .

السياسة الخارجية السوفيتية :

لايتسع المجال هنا للحديث عن التحولات التى حدثت منذ تولى جورباتشوف السلطه فى ١٩٨٥. ويكفى أن نشير إلى أهم الركائز التى تشكل التوجه الاساسى للسياسة العسكرية السوفيتية المعاصرة . وكانت اخطر نقطة تحول فى السياسة الخارجية السوفيتية هى مراجعة الايديولوجية الرسمية للبلاد وتعديل منطلقاتها، وبمعنى اخر التوصل لاساس جديد لتعريف مفهوم "التعايش السلمى" الذى ترجع جذوره إلى لينين. فقد توصل لينين إلى صيغة لسياسة خارجية تفصل وتفرق العلاقات مابين الدول عن العلاقات مابين الاحزاب، وبالتالى اتباع سياسات مختلفة على هدى هذا الفصل. ولما فشل لينين فى اشعال الثورات فى الدول الرأسمالية الصناعية سعى إلى تطبيع علاقاته معها وتبديد مخاوفها منه وان كان لم يتخل عن مبدأ الثورة الدولية باسم الطبقة العاملة، وعن توجية سياسات الاحزاب الشيوعية الحليفة لموسكو من خلال منظمة الكومينترن comintern التى تاسست فى عام ١٩١٩. وقد شكلت هذه الصيغة الخط الرسمى السوفيتى باستثناء الفترة التى تحالف فيها ستالين فى البداية مع المانيا ثم مع الديمقراطيات الغربية، ثم مع دول اوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية .

وجاء خروتشوف ليعيد صيغة لينين ويطلق عليها "التعايش السلمي" رغم ان لينين استخدم كلمة cohabitation وحورها لتتواءم مع الواقع الجديد الذى تكون بفعل ظهور الاسلحة النووية . والواقع أن التعايش السلمى كسياسة لم يكن يعنى نبذ التناقض مع الغرب وإنما كان ينظر اليه على أنه "صورة محددة من صور الصراع الطبقى" أى سياسة تجنب الحرب مؤقتا وخلافا لتصور لينين - الذى اعتقد بحتمية الحرب مع الغرب - كان خروتشوف يرى فى التعايش السلمى استراتيجية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهزيمة الغرب من خلال الثورات الداخلية دون الحاجة للجوء إلى حرب شاملة أو استخدام الاسلحه النووية .

ولقد فرضت المنطلقات الايديولوجية الاساسية التى تميزت بها سياسة التعايش السلمى فى ذلك الوقت اتباع سياسة خارجية توسعية وسياسة عسكرية تسعى إلى تحقيق تفوق عسكرى على الجميع. ومن ثم فان البناء العسكرى الضخم الذى تم طيلة العقود الثلاثة السابقة جاء نتيجة منطقية لاتباع مثل هذه السياسة وما تنطوى عليه من تضحيات وأعباء اقتصادية ضخمة كان ضحيتها الشعب السوفيتى .

وعندما جاء جورباتشوف إلى السلطة كان الاتحاد السوفيتي يواجه بالفعل ازمه عنيفة فى السياسة على الصعيدين الداخلى والخارجى تمثلت فى عدم قدرة مواصلة سباق التسلح النوعى مع الولايات المتحدة بسبب الاعباء المالية الضخمة وعجز الاجهزة والمراكز العلمية والتكنولوجية السوفيتية فى مواصلة هذا السباق، فضلا عن أن السياسة الخارجية السوفيتية التوسعية استثارت ردود فعل غربية لم يكن بمقدور الاتحاد السوفيتي ـ باقتصاده المتردى ـ مواجهتها بنجاح . فقد دفع انصار جورباتشوف بأن العنصر العسكرى التوسعى فى السياسة الخارجية السوفيتية حفز الغرب على مزيد من التسلح وبناء القوة ، وان القوة العسكرية السوفيتية الضخمة لم تترجم إلى نفوذ ومردود سياسى كما كانت القيادة السوفيتية تتوقع . وكان لهذا الرأى تأثيره الضخم على العقيده العسكرية السوفيتية ومراجعتها فيما بعد .

وفى تعامله مع هذه الازمة لم يعالج جورباتشوف أعراضها فقط وإنما أطلق هجوما عنيفا على الداء نفسه معلنا عن تحولات جذرية فى السياسة الداخلية تطلبت بدورها توجها مختلفا فى السياسة الخارجية. حقيقة نلمح صورة من هذا التحول فى مسار السياسة قبل جورباتشوف ولكنه كان تكتيكيا. أما التحول الذى يتحدث عنه جورباتشوف فهو تحول استراتيجى يقصد به الاستمرار لمدة طويلة وليس لالتقاط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانفاس للحصول على التكنولوجيا الغربية لتحسين وتطوير القدرة العسكرية، وهو تحول ينطوى على إعادة بناء شاملة واساسية لاسس النظام الاقتصادى والسياسى برمته. فقد ذهب جورباتشوف - فى مراجعة للايديولوجية السوفيتية - إلى مراجعة الاسس الماركسية اللينينية التى قامت عليها العقيدة العسكرية السوفيتية وهى مصالح

الطبقة والصراع الطبقى. فذكر فى كتابه "البيريسترويكا : التفكير الجديد لبلدنا وللعالم الاتى : ظهرت فى العصر الحالى مصالح جديدة : مصالح البشرية التى تعلو وتسمو على مصالح الطبقات . والاسلحة النووية تجعل قضية العمل على تجنب الحرب مصلحة انسانية للبشرية جمعاء ، ونفس الشئ بالنسبة لإنقاذ البيئة". هذه المصالح الانسانية - فى رأى جورباتشوف - تحتل الاولوية والاسبقية عن صراع الطبقات ، وتتطلب جهودا تعاونية مع الدول الإمبريالية . كذلك فإن هذه المصالح جعلت من مقولة إن الحرب ليست إلا استمرارا للعلاقات السياسية بوسائل اخرى مقولة غير مناسبة لعصرنا ، وفى هذا تمرد واضح وخروج عن مبادئ لينين .

ولم يتوقف جورباتشوف عند هذا الحد بل أنه جرد مفهوم التعايش السلمى من فكرة أنه "صورة محددة من صور الصراع الطبقى" . ثم جاء المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتي ليعطى تعريفا لمفهوم التعايش السلمى لم يات فيه على ذكر الصراع الطبقى، وانما اكد على العلاقات السلمية مع كافة الدول بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وهكذا رأينا الاتحاد السوفيتي يلتزم بعدم التدخل حتى فى دول شرق اوروبا التى واجه الاتحاد السوفيتي فيها تحديات غير مسبوقة فى الدول الحليفة هناك وفقدانا للسيطره على تطور الاوضاع فيها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا التوجه الجديد فى السياسة الخارجية السوفيتية استلزم بطبيعة الحال تغيير العقيدة العسكرية السوفيتية لتكون دفاعية فى طبيعتها يتبع الجانب العسكرى / الفنى فيها الجانب السياسى ويصير التأكد على الدفاع وليس الهجوم والهدف الاستراتيجى فيها منع الحرب وليس شن الحرب .

واذا كان من الصعوبة بمكان إن نعرف على وجه اليقين النوايا بعيدة المدى للسياسة الخارجية السوفيتية ـ خاصة فى ضوء تنامى النزاعات الاستقلالية والانفصالية فى الجمهوريات السوفيتية المختلفة فانه يمكن القول بأن التوجه الجديد فى السياسة الخارجية السوفيتية تحت جورباتشوف يتطلب بوضوح تعديلات رئيسية فى كافة أوجه السياسة العسكرية السوفيتية .

النظام الشامل للامن والسلم الدوليين :

أكد جورباتشوف فى بداية تولية السلطة ضرورة إقامة علاقات متحضرة مع الغرب على اساس القيم المشتركة الاساسية للشرق والغرب، وأنه من الضرورى ليس فقط العودة إلى وفاق السبعينيات وإنما السعى المشترك لاقامة نظام دولى شامل للامن يقوم على أساس الاقرار بالفائدة المتبادلة التى يمكن ان تعود على العالمين الاشتراكى والرأسمالى من تعاونهما. وقدم الاتحاد السوفيتى تصوراته لعناصر هذا النظام المقترح عند مناقشته فى الامم المتحدة. هذا النظام ـ فى التصور السوفيتى يهدف إلى تعزيز الحوار فى العالم ـ اولا وقبل كل شئ فى الامم المتحدة ـ حول سبل ووسائل تحقيق الامن الشامل فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والبيئية والانسانية بما فيها حقوق الانسان. ثم جاء "ديمترى يازوف" وزير الدفاع السوفيتى ليبلور التصور السوفيتى لهذا النظام الدولى فى علاقته بالامن السوفيتى وإعادة بناء القوات المسلحة السوفيتية . فجاء فى تصريحات يازوف (التى نشرتها جريده Kommunist العدد رقم ١٨ لعام ١٩٨٩ ونشرتها "نوفوستى" ايضا بتاريخ ٤ يناير ١٩٩٠) الاتى :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- اخذ العالم عقودا عديدة من المواجهة والانزلاق إلى حافة الهاوية ليدرك فى النهاية الحاجة إلى قواعد جديدة للمجتمع الدولى. هذه القواعد الجديدة تقوم على مبادئ حرية الاختيار ، تنوع صور وطرق التنمية الاجتماعية، سمو القيم الإنسانية العالمية الشاملة، تدويل الحوار الدولى على اساس توازن المصالح. مجمل هذه المبادئ تشكل هيكل النموذج الأمنى الدولى الجديد الذى يختلف فى الاساس عن النماذج السابقة .
- يستند النموذج الجديد إلى الاقرار بتكامل وعدم تجزئة العناصر القومية والدولية للأمن وينتقل هذا النموذج من التركيز على الاساليب العسكرية إلى التركيز على الاساليب السياسية فى مجال كفالة الأمن ، ويدعو إلى ترجمة هذه المبادئ النظرية إلى سياسة عملية .
- ويحتاج النموذج الامنى الجديد إلى مراحل عديدة تراجع فيها اتجاهات المواجهة ، وتستعاد الثقة، ويقضى فيها على الاختلالات وعدم التوازن فى الأسلحة والقوات. ويجب ان توفر هذه الجهود الارضية اللازمة للتحرك من التسامح الزائد إلى اقامة عالم خال من العنف والاسلحة النووية باعتبار أنه من المستحيل اقامة وبناء نموذج امن جديد بدون خفض مستوى المواجهة العسكرية وتنفيذ عقائد عسكرية دفاعية فى الاساس ، وخفض الاسلحة والقوات إلى مستوى الكفاءة الدفاعية المعقولة بالتبادل .
- ومن المسائل الحيوية بخصوص هذا النظام تطوير الاوجه العسكرية للأمن لتوفير الضمانات المادية الضرورية للأولويات السياسية طبقا للنموذج الامنى الجديد الذى سيؤدى تنفيذه إلى تناقص اهمية الاوجه العسكرية لصالح الاوجه السياسية والاقتصادية والقانونية الدولية والانسانية وغيرها وفى نفس الوقت ستظل العسكرية لفترة عنصرا ماديا مهما من عناصر النظام الامنى القومى والعالمى، فالتاكيد على الوسائل السلمية لتعزيز الامن فى ظل النموذج الجديد لايحول دون إقامة آليات عسكرية لمواجهة العدوان والحرب طالما استمر خطر التهديد بالحرب قائما .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ كانت الكفاية الدفاعية المعقولة حتى مؤخرا تفهم على أنها استعداد وقدرة القوات المسلحة لتنفيذ مهام هجومية نشطة. ولكنها تفهم الان على أنهـــا الاجراءات العسكرية الضرورية التى تتناسب بدقة مع درجة التهديد الحقيقـــى والحد الادنى من متطلبات الدفاع. وهذه المهمة تغطى أوجها عديدة : فالوجـه العسكرى الاقتصادى يدعو إلى استخدام أقل قدر من الإمكانيات الاقتصاديـــة للدفاع وتحويل مدروس للصناعات الحربية للانتاج المدنى . اما الوجـــه العسكرى / الفنى فيدعو إلى تركيز الجهود الرئيسية لتطوير الاسلحـــة والمعدات باقل تكلفة ممكنة. ويدعو الوجه العسكرى / العلمى إلى بلـــورة نظرية لسمات معينية ـ كمية ونوعية ـ للكفاية الدفاعية المعقولة. ويقصـــد بالوجه العسكرى السياسى الإجراءات الرامية إلى تحقيق الاستقرار للعلاقـــات بين الدول فى المجال العسكرى وإتاحة امكانية التنبؤ بها، ومنع الاستخـدام المباشر للقوة لتحقيق أهداف سياسية. اما الوجه الايديولوجى فيرتبـــط بصياغه عقلية دفاعية متحررة من المفاهيم الخاطئة عن التفوق العســـكرى وعقده صور العدو. واخيرا يتناول الوجه العسكرى الخاص ببناءقوات مسلحـــة قادرة على كفالة توفير دفاع مناسب ومعقول عن البلاد .

الاستراتيجية العسكرية :ـ

نتج عن التحولات التى حدثت فى السياسة الخارجية تحولات فى الاستراتيجيـــة العسكرية التى هى استراتيجية فرعية فى اطار الاستراتيجية العليـــا grand Strategy التى تشمل الايديولوجيه والسياسة الخارجية والاستراتيجية العسكريـــة والسياسة الاقتصادية واذا كان للاستراتيجية العسكرية منطقها الداخلى الخاص بهـا الذى هو من مسئولية القيادة العسكرية فان هذا المنطق لايجرى العمل به بطريقـــة مستقلة بعيدا عن الاستراتيجية العليا للبلاد .

ولقد فجر التفكير السياسى الجديد لجورباتشوف جدلا عنيفا غير مسبوق بخصوص الاستراتيجية العسكرية السوفيتية ، شارك فيه النقاد المدنيون ومعاهد أكاديميـة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلوم السوفيتية ووسائل الاعلام المختلفه. والظاهر لنا ان جورباتشوف وانصاره نجحوا فى إعادة صياغة الاطار الذى يجب ان تعمل فيه الاستراتيجية العسكرية من خلال مراجعة ايويولوجية ادت إلى تراجع اهمية مسالة الصراع الطبقى وأصبحت مدعاة لتحسن العلاقات مع الغرب. هذه المراجعة قللت من اهمية دور الاستراتيجية العسكرية فى اطار الاستراتيجية العليا الاشمل بدعوى أن تملك الاتحاد السوفيتى لقوة عسكرية لم تترجم إلى فاعلية سياسية فى مواجهة الغرب .

ولعل من نجاحات جورباتشوف التى يستطيع أن يباهى بها أن استراتيجيته العسكرية الجديدة جعلت الغرب يرى الاتحاد السوفيتى على أنه اقل تهديدا له ، بل ان المؤسسات العسكرية فى الغرب شرعت بالفعل فى خفض إنفاقها العسكرى وقواتها .

ولكن يلاحظ ان مفاوضات نزع السلاح فقدت بعض أهميتها كمصدر فى الاستراتيجية العسكرية لان تطور الاحداث فى شرق اوروبا والتخفيضات العسكرية الغربية تسير بايقاع وخطى اسرع مما يمكن انجازه على مائدة المفاوضات ويصدق ذلك بشكل خاص على الاسلحه التقليدية غير ان الامر ليس كذلك بالنسبة للاسلحة الاستراتيجية التى تتزايد اهمية المفاوضات الخاصة بخفضها وقد تمكن جورباتشوف من تحقيق شئ قريب من هدفه الرامى إلى جعل اوروبا خالية من الاسلحة النووية (باستثناء القوات النووية البريطانية والفرنسية) وان كان من المتوقع اولا يتجاوز الحديث عن عالم خال من الاسلحة النووية خير القول .

العقيدة العسكرية

ترتبط العقيدة العسكرية ارتباطا وثيقا بالاستراتيجية العسكرية. والعقيدة السوفيتية - كما يراها السوفييت - هى سياسة الدولة الرسمية الخاصة بالاوجه الاجتماعية / السياسية والعسكرية للشئون الحربية فى دولة معينة. فهى تربط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهيكل والبناء العسكرى بالاهداف السياسية للدولة، وهى تتشكل وفقا للخصائص والطابع الجغرافى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى للدولة، وعلى العقيدة العسكرية الخطوط الاساسية العامة للتنظيم والتكتيك والعمليات .

كان نتيجة للثورة الحديثة فى التكنولوجيات العسكرية والتوجه الجديد للسياسة الخارجية السوفيتية أن ضعف شأن التحيز لصالح الاستراتيجية الهجومية وتراجعت اسبقية الاوجه العسكرية الفنية للعقيدة العسكرية السوفيتية. فقد كان القادة العسكريون السوفييت يؤكدون فى السابق ويركزون على استراتيجية الهجوم وعلى مسرح العمليات السريعة الشاملة الواسعة النطاق ، أو ما كانوا يطلقون عليه مسرح العمليات الاستراتيجية الذى يتصور اجتياح معظم اوروبا الغربية واحتلالها فى خلال شهر تقريبا استغلالاً للتطور المذهل فى الاسلحة وتكنولوجياتها.

ثم جاء جورباتشوف أمام المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى أوائل ١٩٨٦ ليكشف النقاب عن فكرة الكفاية الدفاعية المعقولة اللازمة للامن القومى (راجع التقرير السياسى لمؤتمر الحزب السابع والعشرين) .

وفيما بعد بلور جورباتشوف تصوره للعقيدة العسكرية الجديدة فذكر انها تتطلب هيكلا للقوات السوفيتية يكفى لرد العدوان ولكنه غير كاف لشن الهجوم وقد ولد غموض هذا التعريف جدلا محموما حول المستويات النووية والتقليدية الضرورية لاغراض "الكفاية الدفاعية المعقولة" . وواصل المحللون المدنيون المهتمون بالشئون العسكرية (معظمهم من المعاهد التابعة لاكاديمية العلوم السوفيتية) حملتهم المطالبة بإدخال تغييرات جذرية على الوجه العسكرى / الفنى للعقيدة العسكرية معولين بثقل على المفاهيم الامريكية فى الستينيات الخاصة بالاسلحة النووية وعلى ان البرامج العسكرية السوفيتية عملت بمثابة الحافز الرئيسى لسباق التسلح وتنامى قوة الغرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد هاجم المتحدثون العسكريون السوفييت - ومنهم يازوف وزير الدفاع - هذه الحملة من جانب النقاد المدنيين رغم اتفاقهم معهم فى ان الغرض من القوة العسكرية يجب ان يكون منع الحرب وليس شنها كما كان الحال فى العقيدة العسكرية القديمة (مقالة يازوف بالبرافدا حول العقيدة العسكرية كحلف وارسو بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٧) .

وشهد مجلس السوفييت الاعلى فى أواخر عام ١٩٨٩ وأوائل ١٩٩٠ جدلا عنيفا عند مناقشه مشروع "قانون الدفاع Law on Defense داخل لجنة الدفاع وأمن الدولة التى يملك النقاد المدنيون قوة ضاغطة فيها. ومن السابق لاوانه الوقوف على النتائج التى سينتهى إليها هذا الجدل فى ضوء مطالبة جورباتشوف للعسكريين بالعمل من أجل تنفيذ "بيريسترويكا" ضخمه فى القوات المسلحه (كلمة جورباتشوف بمناسبة عيد النصر منشورة بالبرافدا بتاريخ ٩ مايو ١٩٩٠) .

وفى ٥ يونيو ١٩٩٠ تحدث "يازوف" وزير الدفاع السوفيتى عن الخطوط والملامح الرئيسية لرؤية وزارة الدفاع للاصلاح العسكرى. ورغم أنها فى مجملها تعكس تحولات عديدة فى هيكل القوات المسلحة إلا أنها تبدو محافظه من وجهة نظر أنصار الاصلاح الجذرى فى مجلس السوفييت الاعلى ، وأنها تقدم تنازلات طفيفة على طريق تحقيق احتراف القوات المسلحة Professionalism ot the Armed Forces . والواقع أنه رغم ان تصريحات القيادة العسكرية السوفيتية وشروحها حول العقيدة العسكرية السوفيتية الجديدة لم تنقطع ، فانه من الصعوبة بمكان الوقوف بدقه على الكيفية التى ستنفذ بها هذه العقيدة عمليا. وقبل ان نعرض لاهم نقاط الجدل المحتدم حول كنه هذه العقيدة ومضمونها فانه من المفيد ان نشير إلى اهم تصريحات وبيانات القيادات العسكرية السوفيتية حول العقيدة الجديدة.

<u>فى يوم ١٩٨٨/٤/٢٩ التقى "يازوف" وزير الدفاع السوفيتى فى تطور غير مسبوق بسفراء الدول وملحقيها العسكريين المعتمدين لدى الاتحاد السوفيتى بغرض</u>

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرح الملامح الاساسية للعقيده العسكرية السوفيتية الجديدة. وفيما يلي اهم ماتناوله بازوف في هذا اللقاء :

- تتحدد العقيدة العسكرية السوفيتية بالهدف الاساسى للسياسة الخارجية السوفيتية وهو كفالة توفير ظروف سلام دائم وحرية لكى يعمل الشعب السوفيتى .
- اهم مكونات وعناصر هذه العقيدة : نبذ الحرب واقامة نظام شامل للأمن الدولى، والتعاون بدلا من المواجهة بين النظم الاجتماعية المختلفة ، والتفاهم المتبادل بدلا من سباق التسلح .
- تزايد الاقرار بعدم قبول الحرب كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية . وأقر حلف وارسو فى اجتماع برلين فى مايو ١٩٨٧ الوثيقة الخاصة بهذه العقيدة، كما أقرها اجتماع وزراء خارجية دول الحلف فى اجتماع بودابست فى ١٩٨٨ .
- أساس العقيدة العسكرية السوفيتية هو النظام الاقتصادى والاجتماعى للاتحاد السوفيتى الذى لم يربط أبدا ولن يرهن مستقبله بالحل العسكرى للمشكلات الدولية، ويرفض الحرب كوسيلة لحل التناقضات والنزاعات الدولية.
- أقرت العقيدة الجديدة فى برنامج الحزب الشيوعى السوفيتى والمؤتمر السابع والعشرين للحزب والدستور والتشريعات الاخرى وأوامر القيادة العسكرية العليا .
- هدف العقيدة الجديدة منع الحرب وتعزيز الامن الدولى باجراءات سياسية ودفاعية ودبلوماسية ودون تمكين المعتدى من شن الحرب وحرمانه من أمل الانتصار فيها.
- لاول مرة تتضمن العقيدة العسكرية السوفيتية نصا واضحا مباشرا مفاده منع الحرب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- لهذه العقيدة وجهان أحدهما سياسى والاخر عسكرى/فنى - والوجه السياسى يعكس موقف الدولة السوفيتية من الحرب والمهام العسكرية والسياسية التى ترمى إلى منعها، وتقوية سلامتها وأمنها. أما الوجه العسكرى/الفنى فإنه يخضع للوجه السياسى ويتبعه ويتضمن صياغة الاهداف العسكرية والتنظيمية والفنية والاستراتيجية والاقتصادية لمنع الحرب ورد اى عدوان .
- تدعو العقيدة الجديدة إلى حل المنازعات بالطرق السياسية السلمية باعتبار ذلك شرط لاغنى عنه فى العصر النووى وعصر الفضاء. وترسم العقيدة الجديدة الإجراءات الكفيلة بتحقيق الامن ليس فى داخل الاتحاد السوفيتى فحسب وانما فى الدول الاعضاء فى حلف وارسو .
- التعادل الاستراتيجى الحالى عامل حاسم فى مجال منع الحرب فى الظروف الحالية خلال فترة نتحدث عن التعاون الدووى الاستراتيجى فى القوات الامريكية والسوفيتية الذى تم التخفيض فيها أكثر من مرة ، وتاكد اثناء صياغة معاهدة (سولت ٢) ، واثناء لقاءات القمة السوفيتية الامريكية فى جينيف وركيافيك وواشنطن. وإذا كان ثمة إقرار بالتعادل العسكرى الاستراتيجى كفيل بمنع الحرب فإن الاتحاد السوفيتى يرى أن النمو المستمر فى مستوى هذه الاسلحة لن يؤدى إلى تحقيق أمن أكبر .
- تتصور العقيدة الجديدة حلا متزامنا للحلفين العسكريين كخطوة اولى ثم ازالة تنظيماتها العسكرية واقامة نظام شامل للامن الدولى فى المدى البعيد .

وأعاد رئيس أركان القوات المسلحة السوفيتية الجنرال "ميخائيل موسابيف" تأكيد ماذكره "يازوف" عن العقيدة العسكرية الجديدة فى تصريحاته التى أدلى بها بمناسبة عقد "ندوة العقائد العسكرية" فى فيينا فى يناير ١٩٩٠. فقد صرح موسابيف "لمراسل جريدة البرافدا فى فيينا يوم ١٩٩٠/١/٣١ بان الاتحاد السوفيتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لايرهن حاضره ومستقبله بحل عسكرى للمشكلات الدولية لانه يعتبر أن الحفاظ على السلام هو المهمة الإنسانية الاساسية العليا. واكد موساييف ان الاتحاد السوفيتى لن يكون البادئ بالحرب أبدا وتحت أى ظروف ، وأنه لاينوى الهجوم على احد وأنه ليس دعاوى ومطالب اقليمية قبل أى دولة فى أوروبا ، وفى أى اقليم آخر. وحول التعادل العسكرى الاستراتيجى ذكر موساييف ان الاتحاد السوفيتى سيحافظ عليه ولكن بمستوى أقل.

وكان أوضح ماذكره "يازوف" وزير الدفاع السوفيتى حول العقيدة الجديدة المقالة التى كتبها يازوف لمجلة Kommunist فى عددها الثامن عشر لعام ١٩٨٩ ونشرتها نوفوستى بتاريخ ١٩٩٠/١/٤) ، ونظرا لان "يازوف" تناول فى هذه المقالة الاجراءات العملية التى اتخذتها القيادة السوفيتية على طريق التنفيذ العملى للعقيدة العسكريه الجديدة فانه من المفيد ان نعرض لاهم ماجاء بها بشئ من التفصيل فى الاتى :

- كانت العقيدة العسكرية السوفيتية القديمة دفاعية أيضا ولكن كان هناك خلل فى التوازن بين الاوجه السياسية والاوجه العسكرية/الفنية. فمن الناحية السياسية نبذت العقيدة القديمة مفهوم الضربة الاولى عموما . وبعد ظهور الاسلحة النووية نبذت الضربة النووية الاولى بصفة خاصة . ولكن على الصعيد العسكرى/الفنى اكدت هذه العقيدة على الهجوم الحاسم فى حالة الحرب ضد الاتحاد السوفيتى وحلفائه. وقد ازالت العقيدة الجديدة التى أقرت فى عام ١٩٨٧ هذا الخلل تماما .
- وفى معرض تنفيذه العملى للعقيدة العسكرية الجديدة لم يعلن الاتحاد السوفيتى فقط عن استعدادة لسحب الاسلحة النووية من قواته المسلحة اذا فعلت القوى النووية الاخرى نفس الشئ ، وإنما اتخذ قرارات مهمة لدعم هذا الاعلان عمليات . فقط وافق الاتحاد السوفيتى على خفض فير متناظر للصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، ووافق على خفض ضعفى الصواريخ التى سيخفضها الجانب الاخر وخفض ثلاثة اضعاف ونصف الرؤوس النووية التى سيخفضها الطرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاخر، كما وافق على خفض كافة الصواريخ السوفيتية والامريكية قصيره المدى، وتم بالفعل القضاء على اكثر من سبعين فى المائة من الصواريخ المتوسطة السوفيتية مقابل خمسين فى المائة من الصواريخ الامريكية المماثلة.

- بدات عملية نزع السلاح تؤتى ثمارها ، ولذا فإنه لكى نكفل عدم حدوث انتكاسة فيها قرر الاتحاد السوفيتى من جانب واحد سحب ٥٠٠ رأس نووية من اراضى حلفائه بحلول ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩، كما عبر عن استعدادة لسحب كافة الرؤوس النووية من أراضى الحلفاء بين ٨٩ ـ ١٩٩١ بشرط أن تفعل أمريكا نفس الشئ. كذلك قرر الاتحاد السوفيتى من جانب خفض قواته المسلحة عشرة الاف دبابه و ٨٥٠٠ قطعة مدفعية و ٨٢٠ طائره حربية.
- سيعيد الاتحاد السوفيتى بناء وهيكلة قواته المسلحة. فستخفض عدد المناطق العسكرية والجيوش والفرق، وسيزيد نصيب الاسلحة الدفاعية فى تسليح القوات.
- سيخفض إنتاج الاسلحة فى ٨٩ ـ ١٩٩٠ بنسبة ٢٣٪. كما أوقف الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٨٩ انتاج اليورانيوم المخصب للاغراض العسكرية. وكان قد تم اغلاق مفاعل تجارى كان يستخدم فى تحويل البلوتونيوم المستخدم فى الاسلحة، وسيتوقف عمل مفاعلين مماثلين فى ٨٩ ـ ١٩٩٠ ولن يحل محلهما مفاعلات اخرى. كذلك اوقف الاتحاد السوفيتى تصنيع الاسلحة الكيميائية ويجرى الاعداد لتدمير المخزون المتراكم منها من قبل .
- سيصل الإنفاق العسكرى إلى متطلبات الكفاية الدفاعية المعقولة. وفى ٨٧ ـ ١٩٨٨ تجمدت ميزانيه الدفاع ، وسينخفض لعام ١٩٩٠ مبلغ ٧٠,٩ بليون روبل أى ٨,٣٪ اقل من ميزانية عام ١٩٨٩ .

وفى عام ١٩٩٠ ستوزع ميزانية الدفاع كالاتى: حوالى ٣١ بليون روبل لتدبير المشتروات من الاسلحة والمعدات، وحوالى ١٣,٢ بليون روبل للابحاث والتطوير وحوالى ١٩,٢ بليون روبل لاعانة الجيش والبحرية ، وحوالى ٢,٧ بليون روبل لبناء مشروعات عسكرية، وحوالى ٣,٤ بليون معاشات لرجال الخدمة المتقاعدين ، وحوالى ١,٣ بليون روبل تحت بند متنوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التمسك بمبدأ الكفاية الدفاعية المعقولة أهم عنصر فى الفلسفة الدفاعية السوفيتية فى هذه المرحلة هذا المبدأ ينطوى على معنى سياسى واضح للتحول الكيفى فى القوات المسلحة. فالغرض ليس إحلال سباق تسلح بآخر وليس زيادة القدرة الحربيه للجيش والبحرية، وإنما الهدف هو الابقاء عليها فى حدود الكفاية الدفاعية المعقولة بأقل انفاق لكن مع تحقيق امن ذى مصداقية .
- ولكى نتمكن من حماية البلاد يتعين الاستمرار فى تطوير القوات المسلحة على اساس تعدد قوم/ لايقوم على مبدأ الإقليمية ، وجيش نظامى على اساس الخدمة العسكرية الإلزامية العامة .
- يتطلب الامر جهدا كبيرا لبناء نموذج أمنى جديد وعالم خال من العنف والاسلحة النووية - كاقتراح جورباتشوف فى يناير ١٩٨٦ - من خلال نزع السلاح وليس بناء الاسلحة. هذا الجهد يمكن ان يؤتى ثماره الطيبة بعد الخطوات السوفيتية العملية التى بادر الاتحاد السوفيتى باتخاذها فى إطار تفكيره السياسى الجديد التى يمكن ان تساعد تدريجيا على جعل النموذج الامنى الجديد واقعا ملموسا فى التطور العالمى المعاصر.

رغم تتابع تصريحات وبيانات وشروح القادة العسكريين السوفييت حول الملامح الاساسية للعقيدة العسكريه السوفيتية، فان الجدل والنقاش حولها لم يتوقف فى كافه وسائل الاعلام السوفيتية ويدور الجدل حول مسائل جوهرية تتصل فى الاساس بمفهوم الكفاية الدفاعية المعقولة فى تطبيقة على الاسلحة والقوات النووية والتقليدية . بالنسبة للقوات النووية يدور الجدل حول ثلاث مسائل رئيسية على الاقل :

اولا : يثور التساؤل حول ما اذا كان من الاجدى الحفاظ على عادل عسكرى استراتيجى نووى مع الغرب على أساس كمى ام يعاد بناء على اساس نوعى؟ فالتعادل الكمى يعتمد على التعادل فى عدد وسائل الإيصال والإطلاق والرؤوس النووية، بينما التعادل النوعى يعتمد على التعادل فى ضمان توجيه الضربة الثانية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : يثور تساؤل آخر مرتبط بالتساؤل الأول ـ حول عما إذا كانت القـــوة المضادة هى التى ستحدد المتطلبات العسكرية المستقبلية من عدمه.

ثالثا : يتعلق هذا التساؤل بما إذا كان المستوى الدقيق للكفاية الدفاعيـــة المعقولة يجب الحفاظ عليه من جانب واحد أم الاستمرار فى تحديـــدة وتعزيزه وفقا لمستوى التهديد الخارجى المتصور .

وفى خضم هذا الجدل المحتدم استخدم المحللون المدنيون السوفييت اصطلاحـــات غربية مثل الردع والقوة المضادة والقيمة المضادة والضربة الثانية .... بينمـــا تجنب المتحدثون العسكريون السوفييت استخدام هذه الاصطلاحات بدعوى أن هـــذه المفاهيم الغربية ـ خاصة المتعلقة بالردع ـ اصبحت بالية وغير مناسبة لاغـــراض الجدل السوفيتى الجارى (راجع جريدة النجم الاحمر السوفيتية بتاريخ ١٠/٤/١٩٩٠).

اما بالنسبة للقوات التقليدية فانها لم تسلم بدورها من الجدل ، وبـــؤرة النقاش والجدل فى وسائل الإعلام السوفيتية تدور حول مفهوم الهجوم المضـــاد فالتساؤل يثور حول ما إذا كان الهجوم المضاد من جانب قوات حلف وارسو يجـــب ان يكون على المستوى التكتيكى أم على مسرح العمليات الاستراتيجى. وهنا ليس واضحـــا ـ شأن الوضع بالنسبة للقوات النووية الاستراتيجيه ـ الكيفية التى ستؤثر بهـــا سياسة الكفاية الدفاعية الجديدة على هيكل القوات التقليدية .

كذلك يلاحظ ان القيادة العسكرية السوفيتية بدأت تركز ـ فى اطار طرح جهـود تحديث الاسلحة ـ على "الذخائر التقليدية المتطورة"

وهنا تثور مشكلة وهى أن تطور الاسلحة الحديثة يجعل من الصعوبة بمكـــان التمييز بين الهجوم والدفاع، كذلك فإن الذخائر التقليدية المتطورة ينظـــر إليها على أنها تعادل الاسلحة النووية فى تأثيرها على طبيعة الحرب المستقبليـــة باعتبار أن هذه الذخائر يمكن ان تحل محل الاسلحة النووية بالنظر إلى فاعليتهـــا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى مجال تحديد الاهداف عبر القارات أكثر مما تسمح به الاسلحة النووية (راجع فى ذلك :

وأيا كان أمر العقيدة التكتيكية والاستراتيجية فان الاتجاه هو التركيز على نوعية الاسلحة والقوات وليس على كميتها أو كليهما كالسابق. كذلك إذا اخذنا فى الاعتبار وضع الاقتصاد السوفيتى المتردى والطبيعة العامة والواسعة لاصلاحات جورباتشوف الاقتصادية فإنه من غير المتوقع العودة إلى تغليب الكم فى بناء القوات فى السنوات القليلة القادمة على الاقل .

سياسة القوى البشرية العسكرية

تتعلق هذه السياسة بافراد الخدمة فى القوات المسلحة والقيادة والتعليم والتدريب والتركيبة العرقية والقومية لافراد الخدمة. والتغييرات فى هذه السياسة تؤثر على نسبة كبيرة من الشعب السوفيتى، ولها تاثيراتها على العلاقة بين القوات المسلحة والمجتمع. وكان من الطبيعى أن يتغير نظام وسياسة القوى البشرية فى القوات المسلحة لكى تفى بمتطلبات العقيدة العسكرية السوفيتية الجديدة.

وبداية يلاحظ أن قانون الخدمة العسكرية الصادر فى عام ١٩٦٧ ابقى على مبدأ التجنيد الإلزامى العام ، وخفض مدة الخدمة العسكرية من ثلاث سنوات إلى سنتين لمعظم الجنود ومن أربع سنوات إلى ثلاثة للبحرية والفروع الفنية الاخرى. ويرى انصار هذا النظام الالزامى ان من فوائدة ومزاياه الاساسية تجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب وبالتالى بناء مجمع ضخم من قوات الاحتياطى يمكن استخدامها فى حالة التعبئة العامة. وحتى الشباب الذى لم يخدم فى القوات المسلحة تتاح له فرصة تلقى تدريب عسكرى أساسى فى المدارس الثانوية وفى جمعية وهى جمعية تطوعية ضخمة مكرسة لتعليم التخصصات العسكرية. والى جانب هذه الميزة الاساسية لنظام التجنيد الالزامى الشامل الذى ورثة جورباتشوف توجد ممتان اخريتان يلزم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاشارة إليهما. السمه الأولى تتعلق بمبدأ الامتداد الاقليمى للخدمة اى الخدمة فى اماكن ومواقع بعيدة عن الاقاليم التى يأتى منها افراد الخدمة فى الاصل. وواضح ان وراء تطبيق هذا المبدأ دافع اساس هدفه الا تكون للقوات المتمركزة فى اى موقع صلات شخصيه وثيقه بالاسر والاهل والاصدقاء فى المجتمع المدنى المحيط بهم. كذلك فانه إذا اريد استخدام هذه القوات للحفاظ على النظام العام فانه سيكون من الافضل استخدام قوات تكون درجة تعاطفها مع السكان المحليين اقل (اظهرت نتائج استفتاء الرأى العام الذى اجرى هذا الشهر تأييد الكثيرين لانشاء قوة من الجمهوريات المختلفة. تستخدم لمواجهة الاضطرابات العرقية والقومية على شاكلة قوات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة . وتتعلق السمه الثانية بتركيبه الوحدات العسكرية. فليس هناك وحدات قومية اى تقوم على اساس مجموعة عرقية أو قومية واحدة أو تستخدم لغه غير روسية، فالوحدات العسكرية تتكون من خليط من القوميات المختلفة. ولكن يلاحظ ان العنصر السلافى هو العنصر المسيطر فى تكوين الوحدات القتالية والفروع الفنية. والخط الرسمى المعلن يؤكد مبدأ خلط القوميات كاساس بالنظر إلى الوظيفة الاجتماعية الايجابية التى يؤديها تطبيق هذا المبدأ فى مجال جمع افراد من قوميات مختلفة للتعارف والاحترام المتبادلين، وتخفيف حدة المشاعر الانفصالية. وبمعنى آخر فان تطبيق هذا المبدأ يجعل من الخدمة فى القوات المسلحة البوتقة التى تنصهر فيها القوميات المختلفة ، وان كان الواقع يخالف إلى حد ما الغرض المستهدف .

وقد أدخل جورباتشوف ثلاثة تطورات مهمة فى سياسة القوى البشرية فى القوات المسلحة، التطور الاول يتعلق بكوادر القيادة العليا، والثانى يخفض الاسلحة والقوات من جانب واحد ، والثالث يتعلق بالجدل الواسع الجارى حول النظام الحالى للخدمة العسكرية الالزامية .

بالنسبة لتطهير الكوادر العسكرية العليا كانت حادثة هبوط الطيار الالمانى الشاب "كاثياس رست" بطائرته فى الميدان الاحمر فرصة لكى يشن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جورباتشوف على الفور حملة تطهير واسعة شملت المارشال "سيرجى سوكولوف" وزير الدفاع وقتها والمارشال "اليكسندر كولدونوف" نائب وزير الدفاع المسئول عن قوات الدفاع الجوى. وبعد فترة قصيرة تم اعفاء عدد من اللواءات وصغار الضباط من قوات الدفاع الجوى. وتمكن جورباتشوف بعد مرور عدة شهور من إعفاء عدد من نواب وزير الدفاع كما اعفى المارشال "فيكتور كوليكوف" من منصبه كقائد لقوات حلف وارسو . وكان من التطورات المهمة التى أثارت كثيرا من التساؤلات تقاعد المارشال "اخروميف" من منصبه كرئيس للاركان العامة فى اعقاب خطاب جورباتشوف فى الامم المتحدة فى ديسمبر ١٩٨٨ الذى اعلن فيه عن خطة لخفض اسلحته وقواته من جانب واحد. والواقع أنه ليس مؤكدا ان تقاعدة جاء نتيجة لعدم موافقته على مبدأ الخفض من جانب واحد. ويزال "اخروميف" يتمتع بثقة الرئيس جورباتشوف بعد تقاعده ويعمل كمستشار عسكرى له ، بل ان جورباتشوف اوفدة للولايات المتحدة لاقناع الامريكيين بصدق ومصداقية العقيدة العسكرية السوفيتية الجديدة. الخلاصة ان الحملة التى شنها جورباتشوف ازاحت اقوى الشخصيات العسكرية وكانت خطوة اساسية فى تقدير جورباتشوف لغرض بدء تنفيذ إصلاحات جذرية فى القوات المسلحة.

وكان لابد ـ بعد هذه الحملة وما انتهت إليه ـ من اختيار قيادات عسكرية اخرى بديلة فقد جاء "ديمترى يازوف" ليحل محل "سوكولوف" كوزير للدفاع . وكان جورباتشوف قد استدعاه من منطقة الشرق الاقصى ليخدم كنائب وزير الدفاع لشئون الافراد . وكان اختياره مفاجئا فى ضوء المعايير المعمول بها من قبل بالنسبة لمثل هذا المنصب. فكان "يازوف" ضابطا عاديا غير متميز سواء من ناحية خبرة القيادة أو التنظير العسكرى بالمقارنة بالقادة العسكريين السوفييت الاخرين. وربما يكون جورباتشوف قد قصد من وراء اختيار شخصية غير قوية ضمان عدم تحدى إصلاحاته التى ينوى فرضها على القوات المسلحة . وقد أثبتت التطورات عموما ان "يازوف" هو الجندى المطيع خاصة فى مواجهة الاضطرابات العرقية والقومية فى جورجيا واذربيجان والنزعات الاستقلالية فى جمهوريات البلطيق. كذلك فان يازوف ـ باستثناء تحفظات طفيفة ـ لم يعترض على جوهر الإصلاحات الجذرية فى القوات المسلحة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعكس اخبار "موساييف" رئيسا للاركان نفس حسابات جورباتشوف . فهو ايضا ضابط عادى غير متميز بلا خبره فى الاركان العامة وتخرج فى كلية الاركان فى عام ١٩٨٣ فقط حتى ان اختياره لهذه المنصب كان فى نظر معظم الضباط إهانة لتقاليد هذا المنصب الكبير.

وامتدت حملة جورباتشوف لتغيير القيادات العليا إلى صف القيادة التالى لمنصب رئيس الاركان ، فلم يبق فى الخدمة من بين نواب وزير الدفاع والقادة الاخرين ـ وعددهم عشرة قبل تولى جورباتشوف ـ سوى اثنين فقط وهما " اليكسندر يفيموف" نائب وزير الدفاع للطيران منذ عام ١٩٨٤ ، "وفيتالى شعبانوف" نائب وزير الدفاع لشئون التسليح منذ عام ١٩٧٨ . ويشبه البعض هذا التطهير فى القيادات العسكرية العليا بالتطهيرات التى قام بها ستالين فى عام ١٩٣٩ . وواضح أن جورباتشوف رأى فى هذا التغيير الشامل للقيادات العسكرية وسيلة لكسر الجمود والبيوقراطية والمقاومة السلبية من جانب القيادات العسكرية لإصلاحاته الجذرية فى القوات المسلحة .

التطور الثانى المهم فى سياسة القوى البشرية العسكرية هو خفض القوات من جانب واحد بمقدار نصف مليون جندى. وجاء هذا التطور مخالفا لرأى القادة العسكريين المعلن باستمرار الذى يرى ضرورة الخفض فقط عن طريق التفاوض . وأول مشكلة رئيسية واجهت الاركان العامة هى المعايير التى سيتم تخفيض عدد الضباط على اساسها. وإذا كانت الاركان العامة قد اعلنت عن أنها ستبقى على الضباط المؤهلين الاكفاء وتستغنى عن الاقل كفاءة فان هذه العملية فى ذاتها ـ فى غياب وسائل ادارية فعالة ـ ليست بالعملية السهلة . وكان على الاركان العامة خاصة فى ظل عدم دقه نظام تقارير الكفاية عن الضباط ـ ان تلجأ إلى اجراء الاختيار على المستوى المحلى. ورغبة من القيادة العامة فى تجنب الاضرار بالروح المعنوية للضباط فانها حاولت توفير السكن والوظائف للضباط المسرحين ومعاملة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل حالة على حدة لكفاية الحيدة والموضوعية (جريدة النجم الاحمر بتاريخ ١٩٨٩/٣/٣٠ وجريدة سوفيتسكايا راسيا بتاريخ ١٩٨٩/٣/٨).

التطور الثالث يتعلق بنظام التجنيد والخدمة العسكرية الالزامية والجدل الدائر حوله هذه الايام بشكل يسبب ضجرا واستياء شديدا للقيادة العسكرية السوفيتية. فقد بدأ هذا الجدل فى خريف ١٩٨٨ عندما دعا تليفزيون موسكو إلى مناقشة عامة للنظام الحالى للتجنيد والخدمة العسكرية ... وبعد مدة قصيرة نظمت ندوة مائدة مستديرة حول نفس الموضوع ونشرت نتائج اعمالها بالكامل. ثم اضطرمت نيران الجدل على صفحات كافة وسائل الاعلام السوفيتية ، كما اثير الموضوع فى مجلس السوفييت الاعلى . ويمكن ان نلخص اهم ملامح ونقاط هذا الجدل فى الاتى :

- يرى معظم الرأى العام انحسار التهديد الجارى للامن السوفيتى بل يذهب البعض إلى أن هذا التهديد لم يعد قائما اصلا، وأن التهديد ليس من الغرب وانما من آسيا السوفيتية الاسلامية ويلاحظ هنا ان توجهات جورباتشوف الجديدة فى السياسة الخارجية أثرت بشكل واضح على الوعى الجماهيرى والرأى العام وعلى المنطلقات التقليدية الثابتة الخاصة بمسائل الدفاع عن البلاد. ويترجم هذا التاثير فى تزايد اقتناع قطاعات عريضة من الشعب السوفيتى بان تناقص التهديد يبرر خفض القوة العددية للقوات المسلحة.
- يرى الكثيرون ان الحياة العسكرية المتميزة والمعزولة فى نفس الوقت عن المجتمع تخلق ظاهرة اغتراب وعداء بين القوات المسلحة والمجتمع.
- أظهرت المناقشات الاثر السلبى السئ الذى تركته الحرب فى افغانستان على الشعب السوفيتى الذى لم يعد قواته المسلحة بالصورة والمتابة شعبة المقدسة كالسابق.
- ابرزت المناقشات ايضا الاستياء الشديد من ظاهرة اساءة معاملة الجنوب من قبل الجنوب الاقدام التى نتج عنها فى حالات كثيرة اقدام الجنود على الانتحار أو الهرب. ولقد تضاعفت حدة هذه المشكلة عندما اتخذت بعدا قوميا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعرقيا بقيام الجنود السلافيين (الروس) بانتقاء الجنود من القوميات الاخرى واساءة معاملتهم.

- اشار الجدل ايضا مسالة التوازن بين احتياجات المجتمع ككل واحتياجات القوات المسلحة من الشباب المتعلم الماهر. واتهم البعض نظام الخدمة الالزامية بانه يضر بالتعليم العالى السوفيتى لانه يجبر افضل المرشحين للدراسة فى الجامعة على تاجيل تعلمهم سنوات طويلة اثناء خدمتهم فى الجيش. كذلك فان الطلاب الواعدين نظرا لانهم افضل المرشحين للخدمة بالفروع الفنية ينتهون عادة بالعمل لمدة ثلاث سنوات خدمة عاملة (تم تعديل قانون التجنيد لعام ١٩٦٧ فى صيف ١٩٨٩ للسماح بحرية اكبر فى مجال تاجيل الخدمة ، كما تم تسريح عدد ضخم من هؤلاء الشباب فيما بعد قبل انتهاء مدة خدمتهم وكان وقع ذلك على العسكريين سيئا لانه اضر بالاستعداد القتالى لبعض الوحدات - خاصة البحرية - بشكل ملحوظ .
- اشار البعض إلى ان توفير رجال خدمه بمهارات تعليمية وفنية وثقافية مناسبه لتشغيل الاسلحة المعقدة اصبح مشكلة كبيرة بالرغم من رابع مستوى الضباط وتجنيد المزيد من شباب الحضر الذى يالف الحياة الصناعية. وحتى مع هذا التحسن فى المستوى فان متطلبات الاسلحة ذات التكنولوجيا المتقدمة تفوق قدرات ومستويات المجندين حتى بعد ان يكونوا قد امضوا مدة الخدمة العامله بالكامل .
- واخيرا فان تزايد وتنامى الشعور العرقى والقومى وتاكيد الذات القومية فى الجمهوريات والمناطق السوفيتية المختلفة تؤثر على نظام الخدمة العسكرية. ويتعرض مبدأ اللا اقليمية كاساس للخدمة لهجوم عنيف. من ذلك ما حدث فى جمهوريات البلطيق وفى جمهورية جورجيا من سعى البرلمانات المحلية لاصدار قوانين تقضى بان يخدم شباب هذه الجمهوريات بالقرب من اقامتهم او على الاقل فى داخل الجمهوريات التى ياتون منها. وتتعرض وزارة الدفاع السوفيتية لضغوط شعبية هائلة فى هذا الاتجاه، ورغم مقاومة الوزارة لذلك الا انها اضطرت فى النهاية للاستجابة الجزئية بالسماح لنسبة خمس المجندين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جمهوريات البلطيق ومن جورجيا بقضاء الخدمه العسكرية بالقرب من موطن اقامتهم .

- ولقد طفت المشاكل القومية على السطح بصور اخرى . فالجبهات الوطنية فى جمهوريات البلطيق حثت الجنود الذين يقضون مدة الخدمة على ترك الجيش، ونظمت مظاهرات أمام المنشآت والمواقع العسكرية تطالب بطرد القوات السوفيتية من هناك. كما ادانت هذه الجبهات ظاهرة اساءة معامله الجنود. وفى مواجهة ذلك بادرت وزارة الدفاع السوفيتية باتخاذ بعض الاجراءات البسطيه للرد على بعض هذه الضغوط منها السماح بمزيد من تأجيل التجنيد للشباب لاغراض الدراسة الجامعية وانشاء وظيفة جديدة وهى وظيفة الضابط القانونى Legal officer إلى جانب وظيفة الضابط السياسى بغرض معالجة ظاهرة اساءة المعاملة فى الجيش .

واتصالا بهذه النقطه اصدر الرئيس جورباتشوف يوم ٥ الجارى : مرسوما حول الحماية الاجتماعية والقانونية لرجال الخدمة العسكرية. وقد جاء فى هذا المرسوم الاتى :

- ان رجال الخدمه بالقوات المسلحة لايتلقون الحماية القانونية الكافية ، وان تنظيم حياتهم إليومية وظروف خدمتهم تشوبه نقائص وعيوب كثيرة . كما ان الاجراءات التاديبية يساء استعمالها .
- يتعرض رجال الخدمة المكلفون بالحفاظ على النظام العام - خاصة فى الاقاليم التى بها علاقات عرقية معقدة - لاعتداءات مادية .
- على وزيرى الدفاع والداخلية ورئيس الـ KGB اتخاذ الاجراءات العاجلة لدعم الضبط والربط فى القوات المسلحة وتعظيم مسئولية العسكريين عن السلامه الشخصية.
- الحاجة إلى اجراءات لكفالة ضمانات قانونية للحصانه الشخصية لرجال الخدمة عند صياغة مشروعات القوانين الخاصة بالخدمة العسكرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- على الوزراء الاخرين اتخاذ الاجراءات التى تكفل لرجال الخدمة ممارسة حقوقهم الدستورية وتعزز من الحماية الاجتماعية والقانونية لهم .
- ورغم ظهور اقتراحات عديدة بخصوص نظام الخدمة العسكرية فانها تدور فى الاساس حول ثلاثة مواقف رئيسية :

الاول يدعو انصاره إلى انشاء جيش على اساس التطوع الكامل بمرتبات عاليه لجذب القوى البشرية الماهرة، وسيكون عدد القوات المسلحه اقل بكثير من عددها الحالى. والثانى يقترح نظاما مختلطا يجمع بين كوادر الجيش النظامية وميليشيات اقليميه وهو النظام الذى كان مطبقا منذ العشرينيات حتى عام ١٩٣٦. والثالث يرى الابقاء على النظام الحالى دون تعديل وهو موقف كبار القادة العسكريين السوفييت ربما باستثناء قائد الاسطول الادميرال "فلاديميرشيرنافين" قائد القوات البحرية الذى يبدو تعاطفا مع فكرة انشاء جيش من المحترفين المتطوعين. ويستند قادة الجيش المعارضون لتعديل النظام القائم إلى حسابات التكلفه فيذكرون ان تكلفة انشاء جيش من المتطوعين المحترفين تقدر باضعاف التكلفه الحاليه. ومن انصار عدم التعديل الاخرين اعضاء مجلس الحركات الاشتراكية Council of Socialist Movements وهى منظمة روسية غير رسمية تكونت لمعارضة ومواجهة الجبهات الوطنية فى جمهوريات البلطيق وغيرها (جريدة النجم الاحمر بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٩).

ومن اللافت للنظر ان عددا كبيرا من صغار الضباط والجنود اشترك مع النقاد فى انتقاد مثالب النظام الحالى للخدمة على صفحات وسائل الاعلام . وبعض هؤلاء الضباط من المتقاعدين والبعض الاخر من بين هؤلاء الذين شكلوا اتحادا عسكريا يسمى "الدرع Shield " من اهدافه رفع المرتبات ومعارضه انشطة الحزب داخل القوات المسلحة ومحاربة ظاهرة اساءة معامله الجنود (جريدة الازفستيا بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٥ تحت عنوان " Shield will protect from imjustice " .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفى تصريحاته لجريدة النجم الاحمر بتاريخ ١٩٩٠/٦/٥ اظهر "يازوف" وزير الدفاع استعدادا لاتخاذ موقف توفيقى. فذكر أنه ستجرى فى عام ١٩٩١ محاولة تجربة الخدمة بالتعاقد Contract Service فى القوات البحرية. وستتاح للمجندين فرصة الاختيار مابين الخدمة لمدة عامين مثلا (بدلا من ثلاثة كالسابق) ام الخدمة بموجب عقد لمدة ثلاث سنوات بمرتب قدره ١٥٠ روبل شهريا (المرتب العادى حوالى ٥ روبل شهريا) . وإذا ثبت نجاح هذه التجربه فإنه يمكن التوسع فيها مستقبلا. الا ان ذلك يعد ـ فى الاطار الاوسع ـ تنازلا طفيفا من جانب "يازوف".

ويثور تساؤل مهم بخصوص حملة الجدل العنيفة حول نظام التجنيد والخدمة الالزامية . هل بدأ هذا الجدل تلقائيا وتلاقت الانتقادات بالصدفه، أم ان جورباتشوف وانصاره هم الذين نظموا اطلاق هذه الحملة وهذا الجدل لكى يخلقوا المناخ المناسب لتخفيضات ربما اكبر يخططون لها. الواقع ان الطريقه التى بدأ بها الجدل بالتليفزيون السوفيتى وسلسله المقالات المتتابعة على صفحات الصحف ترجح الرأى الثانى رغم ماينطوى عليه من مخاطر الاضرار بالاسس المعنوية للقوات المسلحه وتعريضها لانتقاد واسع استغلالا للمشاعر المعادية لها من قبل الشعب ككل والقوميات بصفة خاصة .

غير ان جورباتشوف ربما يكون قد ادرك خطورة مسعاه فاظهر اتجاها مهادنا وربما تراجعا فنجده يذكر أمام مؤتمر الكمسمول ان الجيش المتطوع المحترف لايصلح حاليا بسبب تكاليف انشائه الباهظة (البرافدا بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٣) ، ثم رقى "يازوف" وزير الدفاع إلى رتبه مارشال الاتحاد السوفيتى فى يوم مايو ١٩٩٠.

وهكذا نجد ان التغييرات التى حدثت فى القيادات العليا ، والخلل من جانب واحد فى القوات والاستياء المتزايد من نظام التجنيد الحالى كل ذلك يوحى بتغييرات كبيره قادمه. فقد تحدث تخفيضات اكبر اضافيه فى القوة العددية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للقوات العاملة ، وقد يصدر قانون جديد للخدمه العسكرية ينشئ جيشا نظاميا اقل عددا ويسمح بمدة خدمة اطول فى الفروع الفنية ؟ البحريه والطيران وقوات الصواريخ الاستراتيجيه بشكل يجعلها تتحول تلقائيا وكامر واقع إلى قوات محترفه. وفى نفس الوقت فهناك بعض العوامل التى قد تحول دون تحقيق هذه التغيرات. فالمشكلات القائمه فى جمهوريات الاتحاد تخيف بعض انصار التغييرات الجذرية . اذ أنه من الصعوبه تصور قبول هؤلاء لانشاء وحدات عسكرية قومية وهى نتيجة حتمية للتخلى عن مبدأ اللا اقليميه فى الخدمة العسكرية. كذلك لابد وان يثير قادة القوات المسلحة اعتراضات على الاثار الضارة الناجمة عن حملة الانتقادات العامه على صورة العسكريين والمشاعر القومية. ومتابعة لتحركات جورباتشوف وانصاره تجعلنا نرجح اصرارهم على الدفع لاصلاح وتغيير النظام الحالى للتجنيد والخدمة. (ارجو الرجوع إلى التقرير الشامل المفصل الذى اعددته عن نظام التجنيد والخدمة العسكرية الالزامية فى الاتحاد السوفيتى برقم ٦٦٩ بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٧) .

الصناعات العسكرية :

تتعلق الصناعات العسكرية بالابحاث والتطوير وتدبير الاسلحة والمعدات والاموال المخصصه لها من اجمالى الناتج القومى والعلاقة بين الصناعات العسكرية وسائر جوانب الاقتصاد الاخرى ومسالة تحويل الصناعات الحربية لاغراض الاقتصاد المدنى .

لاشك ان الحال المتردى الذى آل إليه الاقتصاد السوفيتى كان الباعث الرئيسى وراء التحول الجذرى الذى ادخله جورباتشوف على السياسة العسكرية.

منذ السنوات الاولى للثورة البلشفيه وفى منتصف العشرينيات برزت الجوانب العسكريه فى خطط التنمية الاقتصادية للبلاد. واثناء الحرب العالمية الثانية تطور انتاج الاسلحة بشكل ملحوظ ونمت قدرة الصناعة الداخليه على انتاجها رغم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوضع الاقتصادى المتردى للبلاد فى العقدين السابقين. وبعد انتهاء الحرب حدثت ثورة جديدة فى الشئون العسكرية بظهور الاسلحة النوويه والصواريخ والحسابات الاليه ونظم التوجيه وغيرها، الامر الذى أثر تاثيراً كبيراً على عملية اعادة البناء الاقتصادية والتنمية فى البلاد . ومرة اخرى احتلت الصناعات العسكرية مكان الصدارة خاصة فى فتره مابعد إعادة البناء التى بدأت فى اواخر الخمسينيات ـ وبالرغم من التقلبات التى تميزت بها سياسات خورتشوف العسكرية فان القاعرة / الصناعيه توسعت باطراد خلال العقدين اللاحقين .

ونظرة إلى الوضع قبل تولى جورباتشوف السلطة تشير إلى ايلاء اولوية ضخمة للاعتبارات العسكرية على حساب الوضع الاقتصادى للبلاد. فنجد اللجنة العسكرية / الصناعية (V P K) التى يراسها نائبة رئيس وزراء ومهمتها الربط والتنسيق بين كافة الوزرات الاقتصادية التى تضطلع بدور فى الانتاج الحربى والبحث والتطوير. هذه اللجنه احكمت قبضتها على اقتصاديات البلاد. ولجنه الدولة للتخطيط (Gosplan) التى كان يراسها باستمرار احد جنرالات الجيش كانت مهمتها كفالة ان يكون التخطيط الاقتصادى الشامل دعما للقطاع العسكرى بالشكل المناسب ولجنة الدولة للامدادات المادية والفنية (Gossnab) كانت مهمتها التحكم فى تخصيص مستلزمات الانتاج. واعطت هذه اللجنة بدورها اولوية متقدمة للصناعات العسكرية سواء من ناحية الكم او الكيف. اضف إلى ذلك ان شبكة الضباط الكبيره والممثلين العسكريين الذين يعملون فى الشركات العسكرية / الصناعية مكنت وزارة الدفاع من التحكم والرقابه على نوعيه السلع ورفض مايرونه غير متفق مع المعايير والمستويات المطلوبة .

اما بالنسبة لمهام الابحاث والتطوير : فكانت تدار وتنفذ من خلال عدد من المكاتب واللجان اولها مكاتب التصميمات بهيئة التسليح بوزارة الدفاع. وقد لعبت هذه المكاتب على الدوام الدور القائد فى مجال الابحاث والتطوير. غير انه بتزايد تعقد طبيعة الاسلحة الجديدة انتقل مركز الابحاث والتطوير إلى وزارة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصناعات الحربية بضم مكاتب التصميم إليها بعد سلخها من وزاره الدفـــاع . الا أنه مع نهاية السبعينيات اثبتت مكاتب التصميم المختلفة أنها لم تعد مؤهلـــة وقادره على القيام بمهمة الابحاث والتطوير، اذ استلزم التطور العلمى الضخـــم جهودا وتنسيقا تجاوز موارد هذه المكاتب .

ولعبت لجنة الدولة للعلم والتكنولوجيا (GKNT) دور المنسق وعملـــت بالتعاون مع (KGR) للحصول على واستخدام التكنولوجيا الاجنبية المتقدمـــة وبحلول منتصف السبعينيات ادرك القادة العسكريون السوفييت بوضوح ان دخول موجة ثالثة من التكنولوجيا العسكرية احدث ثورة فى تطوير الاسلحة والمعدات وخلـــق امكانيات ضخمة لتطوير الاسلحة البيولوجية والكيميائية بدرجة لاتقل اهمية عـــن ظهور النووية. والواقع أنه فى مواجهة هذه التطورات التكنولوجية المتلاحقـــة وصلت جهود الخبراء السوفييت فى مجال الابحاث والتطوير إلى طريق مسدود يحتـــاج الامر للخروج منه تبنى إصلاحات جوهرية . وقد اعترف وزير الدفاع السوفيتى ورئيس اركانه بان البناء العسكرى الامريكى فى العقد الماضى جر الاتحاد السوفيتى إلـــى سباق تسلح نوعى أنهك الاقتصاد السوفيتى (بازوف فى تصريحات لجريدة النجم الاحمـــر بتاريخ ١٩٨٩/٢/٩ وموسايبيد لنفس الجريدة بتاريخ ١٩٩٠/٣/١٠) .

كذلك فانه بالنسبة لغرض كسب سباق التسلح الكمى اى بناء عدد اكبر مـــن الاسلحة جعل الصناعات العسكرية السوفيتية تفقد القدرة على المنافسة فى مجـــال استغلال التكنولوجيا الحديثه لانتاج اسلحة متطورة ومتفوقة نوعيا ناهيك عـــن الازمة التى أحدثها هذا التنافس الكمى فى الاقتصاد السوفييتى ككل .

وفى خضم الغموض والاضطراب الذى يحيط بدور الابحاث والتطوير والجدل حـــول تبعيتها هل لوزارة الدفاع ام لوزارة الصناعات الحربية، يصر قـــادة وزارة الدفاع على وجوب تولى وزارة الدفاع مسئولية تمويل البحث والتطوير والانتـــاج .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من ذلك ماصرح به الجنرال "فيتالي شعبانوف" نائب وزير الدفاع لشئون التسليح لنوفوستي بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢٣ عندما ذكر الاتي :

- ان تولى وزارة الدفاع مسئولية الاشراف على تمويل البحث العسكرى والانتاج سيمكن الوزارة من استخدام الاموال بصوره افضل. ولقد كان التخصيص والمعدات الاختصاص الرئيسى للوزارة . ولكن هناك مشروعا مختلفا معروضا الان بخصوص تمويل البحث والتطوير .
- ولما كان هذا المجال من النشاط محرما لايجوز تناوله الاسرا فان الكثيرين - ومنهم بعض نواب الشعب - يعتقدون ان مخصصات الابحاث والتطوير تخصص مباشرة من ميزانية الدولة، ولاترتبط بمشروعات محددة معينة وبالتالى يمكن لمكاتب التصميم استخدامها كما تشاء. كذلك يعتقد البعض ان مكاتب التصميم وحدها هى التى تقرر المواصفات الفنية للاسلحة الجديدة وان وزارة الدفاع مجرد انها تاخذ مايقدم لها. ولكن فى الواقع مشروعات بناء كافة انواع الاسلحة والمعدات يجرى تنسيقها بواسطة المعاهد العسكرية مع مكاتب التصميم، ويجرى تحليلها بدقه بواسطه مجالس عسكرية فنية فنية وتكنولوجية. وهذا يساعد على رسم برنامج لمدة عشر سنوات يقدم شروط وتكاليف البحث وكذا المواصفات التكنولوجية للاسلحة الجديدة .
- بالنسبة لخطط مشروعات الابحاث الاساسية والمهمة للاسلحة والمعدات تحتاج إلى موافقه الحكومه عليها، اما المشروعات الاخرى الاقل اهمية فيكتفى بموافقة لجنه الدوله العسكرية الصناعية .
- فى الواقع مشروعات الابحاث والتطوير لبناء اسلحة جديدة هى عقود حكومية state Contracts وجزء ضئيل فقط من هذا العمل يتم بالتعاقدات المباشرة مع وزارة الدفاع. وهذا النظام له مزاياه وعيوبه. فمن مزاياه ان عقود بناء اسلحة جديدة توقع مع الحكومة. ومن عيوبه ان وزارة الدفاع ليس لها ثقل اقتصادى للتاثير على تقدم الابحاث والتطوير. ولعل هذا هو السبب فى عدم تنفيذ مشروعات كثيرة فى موعدها وتجاوزها للتكاليف المخصصة، وحتى المشروعات التى نفذت كان مستواها الفنى منخفضا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وفى ظل الخفض المتوقع للابحاث والتطوير فان هذا النظام لن يكفل تحقيق الاستخدام الرشيد لها، وهذا هو السبب فى اصرار وزارة الدفاع على السيطرة والتحكم على كل المخصصات للابحاث والتطوير . والحكومة ستوافق على الخطط الخاصه بمشروعات الابحاث والتطوير الرئيسية، بينما وزارة الدفاع سيكون لها الحق فى توقيع اتفاقيات مع معاهد الابحاث ومكاتب التصميم للرقابة على مدى تقدم هذه المشروعات. وقد ارسلت وزارة الدفاع هذه الاقتراحات لنظر الحكومة وموافقتها واعتقد أنها ستحقق فى عام ١٩٩١ .

العرض السابق يوضح ابعاد الازمة الحادة التى يواجهها جورباتشوف . وواضح ان جورباتشوف قد اختار ايلاء الاهتمام والاولوية للسلامة العامة لاقتصاديات البلاد على حساب المؤسسة العسكرية الصناعية مستندا إلى مبادئ التفكير السياسى الجديد فى السياسة الخارجية لتبديدة الخوف من التهديدات الخارجية.

<u>ورغم ان الجهود التى يبذلها جورباتشوف لتناول ومعالجة هذه الازمة لم ترق بعد إلى خطة مترابطة واضحة المعالم فانها فى اجمالها ستؤثر تاثيرا ضخما على الهيكل العسكرى الصناعى للبلاد .</u>

هناك ثلاثه جهود رئيسية يبذلها جورباتشوف وانصاره :

اولا : يسعى انصار الاصلاح الاقتصادى إلى إصلاح نظام الاسعار وادخال قوى السوق فى الصناعه عموما بما فى ذلك القطاع العسكرى. ويرون ان نظام الادارة بالاوامر الذى يحكم الاقتصاد السوفيتى واولويات الاستثمار الحالية منحازة لصالح القطاع العسكرى ، وان احد الاهداف الجوهرية للاصلاح الاقتصادى - فى رأيهم - اجبار تراجع هذه الاولوية . والواقع ان هذه المهمة ليست سهلة . اذ أنه رغم استعداد المؤسسة العسكرية السوفيتية للتنازل فى بعض المجالات فانها تستند إلى شعار جورباتشوف نفسه "الكيف فوق الكم" لتطالب باولوية متقدمة فى مجال الحصول على المخصصات للابحاث والتطور .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : إذا نجح جورباتشوف فى ادخال نظام السوق فى توزيع مدخلات الانتـــاج ـ وهو هدف جورباتشوف الواضح ـ فان آليه السوق قد تسحب الموارد بعيـــداً عن القطاع العسكرى . ولكن القانون الذى صدر عن المشروعات فى يوليـــو ١٩٨٧ بالصورة التى خرج بها كان حلا توفيقيا وسطا مع بيروقراطيـــة التخطيط المركزى وبالتالى فان نشاط قوى السوق لم يشهد الا نمـــواً هامشيا ...

ثالثا : شهد العامان الماضيان جدلا واسعا حول مساله تحويل الصناعات الحربيـــه لخدمه الاقتصاد المدنى وبالتحديد لانتاج السلع الاستهلاكية. وانشـــات اكاديمية العلوم السوفيتية لجده قومية جديدة للمساعدة فى تنفيـــذ برنامج التحويل وتم اتخاذ العديد من الاجراءات التنظيمية فى هـــذا المجال، الا ان الانجاز حتى الان اقرب إلى الوعود منه إلى التنفيـــذ العلمى. ونظرا لاهمية مسالة تحويل الصناعات الحربية فى مجال الاسلحـــات العسكرية فقد رأيت ان اعرض لجوانبها الاساسية المختلفة بشئ مـــن التفصيل .

بادية تواجه عملية التحويل صعوبات تجعل من تنفيذها امر صعبا .. فبالرغـــم من أن المصانع والمشروعات العسكرية كتقليد متبع تملك خطين للانتاج احدهمـــا عسكرى والاخر مدنى (الهدف منه الاستغلال الاقصى لطاقة المصنع أو المشروع عنـــد حدوث ابطاء فى الانتاج) فان نوعية السلع والمنتجات التى تنتجها هذه المصانـــع للاستهلاك المدنى ليست النوعية التى يحتاجها المواطنون حاليا. فمثلا مصانـــع الراداد يمكن أن تنتج اجهزة التليفزيون ولكن هذه الاخيرة لاتفى بالعجـــز الحالى فى الصابون والغذاء . كذلك لتنفيذ عملية التحويل للانتاج المدنـــى المطلوب هناك حاجه لاستثمارات ضخمة فى تعديل وتغيير وتطوير معـــدات والات المصانع. وبالتالى فانه بدلا من تخفيف الاعباء بالانتقال السريع والمباشر لانتـــاج الغذاء والسلع الاستهلاكية تنشأ الحاجه هنا إلى استثمارات يفتقر إليها الاقتصـــاد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السوفيتى فى الاصل . والاسوأ من ذلك انه حتى لو افترضنا توفير رأس المال فانه ليس هناك ضمان بعد ذلك - فى ظل النظام الحالى - ان تؤتى الاستثمارات أكلها وان تعمل بالفاعلية المرجوة للانتاج الجديد .

ومع هذه الصعاب فان القيادة السوفيتية لاتزال تعول كثيرا على عملية التحويل وتعلق عليها آمالا كبيرة . وطبقا للبرنامج المعلن فان الهدف هو تحويل ٦٠٪ (بدلا من ٤٠٪ كما كان معلنا من قبل) من انتاج القطاع العسكرى الصناعى إلى الانتاج المدنى بحلول عام ١٩٩٥ .ويمكن الوقوف على بعض ملامح عملية التحويل من واقع التصريحات التى ادلى بها "ايجور بيلاسوف" نائب رئيس الوزراء السوفيتى . فقد ذكر يوم ١٩٨٩/٢/٩ الاتى وفقا لما نشرته وكالة تاس :

- انه تم وضع خطة تهدف إلى تحويل الصناعات الحربية تسمح اولا وقبل كل شئ بتحقيق زيادة كبيره فى انتاج المعدات المتطورة تكنولوجيا لاغراض الصناعات الخفيفة وصناعة الاغذية والصناعات المرتبطه بها .
- وقد تم بالفعل تطبيق ذلك بصدد حوالى ٣٤٥ مشروعاً سيزداد عددها عام ١٩٨٩ ليصل إلى نسبه ١/٥ الانتاج فى الصناعات الخفيفة والصناعات الغذائية فى الاتحاد السوفيتى، وسيزداد انتاج معدات الصناعة الغذائية المحولة من المشروعات الدفاعية بنسبة من خمسين إلى ثلاثة اضعاف بحلول عام ١٩٩٥. وستشمل هذه العملية - إلى جانب إعادة توجيه ومواءمة الانتاج الحربى - استخدام العتاد الحربى الذى سيتم الاستغناء عنه .
- انه سيتم تدمير حوالى ٥ آلاف دبابة فقط من بين ١٠ آلاف دبابة سيتم سحبها من اوروبا اما الدبابات الاخرى فسيعاد تجهيزها للاستخدام فى فروع الاقتصاد المدنى كمعدات ثقيلة لاطفاء الحرائق وكبلدوزرات لبناء الطرق فى مناطق معينة .
- انه يجب على كافة الدول - خاصة الدول الكبرى - ان تضع خطط تحويل مماثله وتقدمها للامم المتحدة وانه من الضرورى تكوين فرق دولية من العلماء تأخذ على عاتقها مهمة تحليل مشاكل التحويل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفى ندوة المائدة المستديرة إلى عقدت يوم ١٩٩٠/٧/٣٠ بموسكو وتحت عنوان "فوائد السلم وتحويل الصناعات العسكرية" اظهرت المناقشات جسامة المشاكل التى تواجه عملية التحويل وتحدث البعض عن انشاء مركز استشارى للتمويل تكون مهمته وضع برنامج لاعادة تاهيل الكوادر وتقديم الاستشارات والمساعدات المالية ومساعدة الشركات فى البحث عن عملاء لها فى داخل البلاد وخارجها (البرافدا بتاريخ ١٩٩٠/٧/٣٠) .

وكان من التطورات المهمة عقد مؤتمر دولى عن التحويل فى موسكو فى الفترة من ١٤ ـ ١٩٩٠/٨/١٧ تحت عنوان "المواءمات الاقتصادية فى عصر خفض الاسلحة" هذا المؤتمر نظمته ادارة نزع السلاح التابعة للام المتحدة بالاشتراك مع كل من صندوق السلام السوفيتى Soviet Peace Fund ومجلس الاتحاد العام للنقابات السوفيتية (Aucctu) وشارك فى هذا المؤتمر مندوبون من اربعين دولة. وغطت مداولاته فى ثلاث لجان رئيسية تناولت المشكلات العامه (المفاهيم واساليب الاقتراب) ، تحليل خبرات الدول المختلفه ، والاوجه المحددة لعمليه التحويل فى الظروف الراهنة . ومن الموضوعات التى تناولها المؤتمر : "التحويل فى ظروف اقتصاديات السلم" و "تاثير عمليه نزع السلاح على الاقتصاد والبيئة على نطاق علمى " و "مستقبل نموذج عالمى" و "خفض الاسلحة والاقتصاديات الكبيرة . وركز المتحدثون على الخبرة العملية للدول المختلفة فى مجال التحويل وعلى الاجراءات الممكن اتخاذها للمساعدة الاجتماعية للمتضررين نتيجة التحويل .

وفى كلمته الافتتاحية أمام المؤتمر صرح "اليكسندر ياكوفليف" عضو مجلس الرئاسة السوفيتى ان عملية التحويل تعد عنصر حيويا لكفالة عدم العودة إلى الوراء فى عمليه نزع السلاح . واضاف ان التحويل ليس هدفا فى حد ذاته أو تصحيحا للاخطاء وانما يجب النظر إليه على انه جزء لايتجزاء من عملية بناء عالم افضل على المستوى القومى والعالمى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما صرح "فالنتين سميسلوف" النائب الاول لرئيس الوزراء أمام المؤتمر بأنه سيجرى تخفيض انتاج نصف مصانع الذخائر السوفيتية من الانتاج الحربى بنسبة ٢٠٪ هذا العام، وستتحول اربعة مصانع ذخيرة بالكامل للانتاج المدنى . واضاف ان احوال واوضاع المشروعات التى سيشملها التحول هذا العام يحدد مسئولية الدولة والمشروعات والعمال فيما يتعلق بعواقب التحويل .

وفى معرض تناول نتائج المؤتمر والتعليق عليها كتبت وكالة نوفوستى الاتى: بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٧

- اعلن مساعد السكرتير العام للامم المتحدة لشئون نزع السلاح «ياسوشى اكاشى» ان نتائج هذا المؤتمر ستشكل الاساس لبرنامج للامم المتحدة للتحويل تكون له صفة استشارية .
- وأنه من واقع التقارير التى عرضها رؤساء اللجان الثلاث فإن المؤتمر اثار تساؤلات أكثر من تقديمه اجابات . والواقع ان ذلك كان متوقعا لانه طيلة قرون كان تطوير وتحديث الاسلحة يشكل المفهوم الوحيد للامن القومى، وان مسالة التحويل لم تبرز على السطح لتكون موضوع بحث مستفيض من جانب المجتمع الدولى إلا مؤخرا .
- فشل المؤتمر فى الاتفاق بخصوص عدد من الاوجه تتعلق اساسا بالمضمون السياسى والاقتصادى لعملية التحويل. فهلا هل من الحكمة فى شىء الربط بين عمليات التحويل وعمليات نزع السلاح الشامل والعالمى فى كل دولة على حدة، ام يجب ان تتناول المناقشات اولوية مفهوم الردع مع الحفاظ على الكفاية الدفاعية المعقولة فى الاسلحة ؟ ماهى حدود السرية فى قطاع الدفاع فى كل دولة التى لا تضر بامنها القومى وقدراتها الدفاعية ؟
- ولخص المؤتمر الصعاب العملية الرئيسه التى تواجه عمليات التحويل فى الدول المتخلفة :

١ ـ التكلفة الباهظة لعمليات التحويل من الانتاج الحربى إلى المدنى، والمشاكل المرتبطة بعملية تحقيق المواءمة والتكيف للعاملين الذين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتركون قطاع الانتاج الحربى ـ نتيجة التحويل بما فى ذلك تسريح الكثيرين منهم .

٢ ـ يحتاج تدمير الاسلحة إلى نفقات عالية. فعلى سبيل المثال يكلف تدمير الاسلحة الكيميائية اكثر من تكاليف انتاجها ـ ولعل هذا هو السبب فى ان المتحدثين فى المؤتمر اقترحوا بعض الآراء والافكار المعلقة باستغلال التكنولوجيا العسكرية فى مجال الانتاج المدنى كالصناعة والزراعة .

٣ ـ عملية التحويل صعبة للغاية خلال عملية الانتقال لاقتصاديات السوق وهذا ما اكدة المتحدثون السوفيت فى المؤتمر واكدة غيرهم من المتحدثين .

٤ ـ يشكل قطاع الدفاع حوالى من ٨ ـ ٢٥٪ من اجمالى الناتج القومى، والنتيجة ان التكنولوجيا المدنية تتخلف كثيرا (من ٦ـ٨ مرات) وراء التكنولوجيا العسكرية. وهذا الاختلال يعقد من عملية دمج جزء من القطاع العسكرى فى الاقتصاد المدنى .

- احد وسائل رفع فاعلية عملية التحويل فى الاتحاد السوفيتى والدول الاخرى هو اخراج المصانع التى سيشملها التحويل من سيطرة المؤسسة العسكرية / الصناعية ، وتحقيق انسجام بين مصالح الدفاع الوطنى واحتياجات الاقتصاد المدنى، واقامة مشروعات مشتركة لتبادل التكنولوجيات الحديثة والمهارات الانتاجية .

- وفى ملاحظاته الختامية عبر «ياسوشى اكاشى» عن الامل فى أن تنجح الامم المتحدة فى تجميع كافة الاخطار المترتبة بنزع السلاح فى اطاره الدولى الاوسع من اجل صياغة نهج جديد لمشكلة التحويل التى يمكن ان تحل فقط بواسطة البشرية جمعاء . ويجب الا تقوم التنمية الاقتصادية فى دول العالم الثالث على الانتاج الحربى كما يجب ان تدرك الدول المتقدمة ذلك خاصة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنها الدول التى تقوم دائما ببيع الأسلحة التى تستغنى عنها بفعل التحويل للدول النامية. فمسألة الاخلاق واردة فى عملية نزع السلاح. واقترح «اكاشى» كخطوة اولى فى التعاون الدولى فى مجال التحويل - تبادل المعلومات بين الدول والاقاليم المختلفة لان هذا من شأنه الحفاظ على الثقة المبتادلة وجعل عملية التحويل اكثر فاعلية .

وازاء هذه الصعوبات فإن هناك من يشك فى الاهداف الرئيسية لبرنامج التحويل السوفيتى وتثور تساؤلات حول حساب التكلفة الذى تنطوى عليه هذه العملية. وبالرغم من ان عملية التحويل تستهدف تحويل ٤٢٠ شركة ومصنعا حربيا لصالح الانتاج المدنى فإن هناك حالات تشير إلى استمرار سطوة اللجنة العسكرية الصناعية السوفيتية على المصانع المدنية لدرجة ان احد النقاد ذهب إلى ان دعوة «نيكولاى رشكوف» رئيس الوزراء السوفيتى لتخصيص ٩ بليون روبل اضافية لاغراض تحويل الصناعات الحربية ترقى إلى مزيد من التسلح Militarization وليس مزيدا من نزع التسلح Demilitiraization .

ومن المسائل المهمه المتصله بالصناعات العسكرية خفض الانفاق العسكرى السوفيتى لعام ١٩٩٠ بنسبة ١٤,٣٪ كاعلان جورباتشوف . وحتى وقت قريب لم يكن واضحا المبلغ الاجمالى الذى ستقطع منه هذه النسبة المئوية (اى ١٤,٣٪) . فالحساب الرسمى لميزانية الدفاع الشامله هلامى وغير محدد. وقد اقر جورباتشوف بان ميزانية عام ١٩٨٩ كانت تقدر بحوالى ٧٧,٣ بليون روبل وليس ٣٠ مليون روبل كما كان مقررا من قبل باعتبار ان هذا الرقم الاخير يشير فقط إلى نفقات اعاشه القوات المسلحة ولا يتضمن نفقات تدبير شراء الأسلحة Procurement Costs .

وطبقا لارقام ١٩٩٠ فان ميزانية الدفاع تقدر بحوالى ٨٢,٩ بليون روبل، وان نسبة الخفض المشار إليها - ١٤,٣٪ - سيتم خفضها من اجمالى هذه الميزانية. وفى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقريره أمام مجلس السوفيت الاعلى قدم وزير المالية السوفيتى «فالنتين يافلوف» ميزانية الدفاع (٨٢,٩ بليون روبل) فذكر أنها تشمل خفض المبلغ المخصص لاعاشة القوات المسلحة من ٢٠,٢ بليون روبل إلى ١٩ بليون روبل زخفض المبلغ المخصص للبناء العسكرى بمبلغ ١٥٪ وخفض المبلغ المخصص لتدبير شراء الاسلحة بنسبة ١٩٫٥. ولا شك ان هذه التخفيضات سيكون لها تاثير ضخم على قطاع الدفاع وان كانت لن تقض على الوضع المتفوق للصناعات الحربية فى النظام الاقتصادى الحالى. فالاسعار التى تضعها لجنة الدولة للتخطيط (GOSPLAN) لتدبير شراء الاحتياجات العسكرية دائما منخفضة جدا ، وتكلفة الانتاج لاتغطيها بالكامل المبالغ التى ترد نتيجة البيع للدولة ، ولذا فان بنك الدولة يتدخل بتقديم قروض لتغطية هذه الفجوة الامر الذى لايظهر التكلفة الحقيقية لنفقات الدفاع .

وفى سعيهم لمعالجة هذة المشكلة يحاول انصار الاصلاح ابراز المدى الحقيقى لنفقات الانتاج الحربى ، كما بدأت صناعات الدفاع بالعمل بنظام حساب التكلفة cOst accounting اعتبارا من يناير ١٩٨٩، ولن تقدم الدوله اى اموال اضافية، كما ستغطى الشركات والمصانع نفقات الانتاج بالكامل مما تحصل عليه نتيجة بيع منتجاتها .

ولما كانت اسعار الدولة الحالية منخفضة جدا ولاتغطى التكاليف فان معظم الشركات والمصانع العسكرى تمر بعجز مزمن . ولمنع الاضطراب فى الصناعة العسكريه، يقترح بعض المعلقين السوفيت ان تتفاوض الدولة بشأن نظام اسعار جديد مع الصناعات العسكرية وتتعامل معها على أنها تعاونيات ، أى تؤجر لها المصانع والمعدات وتترك لمديريها مسئولية تطوير نفقات حقيقة للإنتاج .وهذا النظام الجديد للاسعار سيتيح تغطية تكاليف الإنتاج والنفقات الاخرى المتصلة بها كنفقات الابحاث والتطوير (يمكن الرجوع لتفاصيل هذا الموضوع فى جريدة الـ Kommunist العدد الخامس ، مارس ١٩٨٩) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والواقع أنه لو نفذ هذا الاصلاح فى أسعار المنتجات العسكرية فسينتج عنه ارتفاع جذرى فى الميزانية المخصصة وشراء الاسلحة للقوات المسلحة ، أو كبديل ستضطر الدولة لشراء اسلحة اقل . وسواء تم أو لم يتم فان مسأله تدبير وشراء الاسلحة والمعدات Military Procurement ستبرز على السطح اكثر من اى وقت مضى، وستجعل من الصعوبه بمكان لكل من المؤسسه العسكرية وبيروقراطية التخطيط المركزى الوقوف فى مواجهة الجدل المحتدم حاليا حول ماتنطوى علية هذه العملية من باهظة . ولاشك ان المحك هنا سيكون مدى نجاح جورباتشوف وانصاره فى فرض نظام حساب التكلفة " من عدمه إن الفشل فى ذلك سيعنى اضطرار الدولة لإنقاذ الشركات والمصانع العسكرية التى تعانى من العجز بتقديم القروض والمساعدات المالية لها. حتى الإن تشير التصريحات السوفيتية الرسمية إلى اتجاه لخفض الاموال المخصصة لتدبير وشراء الاسلحة للقوات المسلحة ويبقى متابعة مدى تنفيذ ذلك عمليا .

وايا كان الامر فان التغيير فى السياسة العسكرية / الصناعية يعتبر حيويا فى برنأمج جورباتشوف الاصلاحى الشامل، وان كانت التخفيضات العسكرية فى ذاتها والتحويل لن تعالج المشكلة الاساسية فى الاقتصاد السوفيتى بالنظر إلى استمرار عمل هذا الاقتصاد بنظام الاوامر المركزية وعدم السماح لقوى السوق بتحديد الاسعار والإنتاج .

التنظيم العسكرى

ويتناول التنظيم العسكرى مستويات القيادة العليا وعلاقتها بالسلطات السياسية فى البلد حتى اصغر وحدة فى التنظيم، كما يتناول القيادة وهياكل السيطرة والتحكم وكيفية عملها، واخيرا يتناول عمق الوطن كيف يعبأ وكيف تتم حمايته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد احدث جورباتشوف تغييرات جذرية فى كافة مستويات التنظيم العسكرى ابتداء من تغيير القيادات العليا نزولا حتى هياكل القوات المسلحة. ورغم ان التغييرات لم تكتمل فى حالات كثيرة فانه يمكن الحديث عن خطوط عريضة وملامح اساسية لاعادة التنظيم والتوجه الذى تأخذه هذه العملية، واسس تبريرها والاثار المترتبة عليها .

بدأ جورباتشوف التغيير فى القيادة السياسية اى بالقمه. فقام بتجديد حيوية مجلس الدفاع Defeuse Council وتوسيع العضوية فيه للسماح بتمثيل مدنى افضل . وتشمل عضوية مجلس الدفاع : جورباتشوف نفسه بصفته رئيسا لمجلس السوفييت الاعلى - وزير الدفاع - رئيس الوزراء -وزير الخارجية - المسئولون عن صناعات الدفاع وهم رئيس اللجنه العسكرية الصناعية VPK ورئيس لجنة الدولة للتخطيط GOSPLAN ووزير صناعات الدفاع وسكرتير اللجنة المركزية المسئول عن صناعات الدفاع (حاليا اوليج باكلإنوف) وبعض كبار قادة القوات المسلحة كرئيس الاركان العامة وبعض نواب وزير الدفاع . ومن الملاحظات المثيرة للدهشه ان عضوية المجلس لم تتضمن شخصيتين تقليدتين وهما رئيس الاستخبارات الـ KGB ووزير الداخلية رغم وجود اعداد ضخمة من افراد القوات المسلحة تحت امرتها .

ومن متابعتنا لتصريحات جوباتشوف نلاحظ أنه ينوى جعل مجلس الدفاع محور السياسة العسكريه وأنه لايريد ان يكون هذا المجلس خاملا شكليا كما كان فى عهد بريجينيف ولكى يؤكد جورباتشوف نيته قام بتعين " ليف زايكوف " عضو المكتب السياسى نائبا لرئيس مجلس الدفاع واعفاه من واجباته كرئيس للحزب الشيوعى فى موسكو حتى يتمكن من تكريس كل وقته - بخبراته فى الصناعات العسكرية - لاعمال المجلس .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير ان التغييرات اللاحقة التى حدثت جعلت البعض يتحدث عن تراجع لاهمية مجلس الدفاع ودورة . فقد اصبح رئيس مجلس السوفييت الاعلى رئيسا للدولة، وانشئ مجلس رئاسى من ضمن وظائفه بلورة اجراءات لكفالة الدفاع عن البلاد وتقديم الخطوط الاسترشادية للسياسة الخارجية والامنية ورغم ان المجلس الرأسى لايصدر مراسيم أو اوامر وانه يخدم كجهاز استشارى لرئيس الدولة الذى اصبحت له سلطات ضخمة، فان البادى ان دور مجلس الدفاع قد انطوى تحت جناح المجلس الرئاسى الذى يضم معظم اعضاء مجلس الدفاع نفسه بالاضافة إلى عدد من الشخصيات من ذوى الخبره والدراية بمسائل الدفاع .

الواضح ان هذه الترتيبات الجديدة لم تلق ارتياح القيادة العسكرية. ففى مقابلة اجرتها جريدة النجم الاحمر بتاريخ ١٩٩٠/٣/١٦ مع ميخائيل موساييف" رئيس الاركان العامة، ذكر ان القانون الجديد الذى انشئت بموجبه الرئاسة والمجلس الرئاسى قانون معيب لإنه لم يأت على ذكر اى دور لمجلس الدفاع، وبالتالى فان وظائف الجهاز الجديد بخصوص المسائل العسكرية يكتنفها الغموض. واضاف "موساييف" ان القانون فشل فى تقديم تحديد دقيق للسطات المهمة للرئيس كسلطته السخصية فى اتخاذ القرار والامر باستخدام الاسلحة كاجراء انتقامى. فسلطة قادة الاسلحة النووية غير واضحه فى الهيكل السوفيتى الجديد .

<u>كذلك كان لظهور لجنة الدفاع وأمن الدولة بمجلس السوفييت الاعلى</u> تاثيرها على دور مجلس الدفاع . فهذه اللجنة طرف جديد فى صنع السياسة العسكرية السوفيتية وترى فيها وزارة الدفاع مصدرا للمشاكل ومن ثم تحاول ملء اللجنة باعضاء من المسئولين فى القطاع العسكرى الصناعى. ولاشك ان تكليف اللجنة بصياغة مشروع القانون الجديد للدفاع يعطيها بعض الثقل والاهمية فى مواجهة وزارة الدفاع وان كانت هذه الاهمية ستظل محدودة طالما بقيت اللجنة غير متحكمة فى التمويل والاعتمادات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدو أن جورباتشوف شعر بعدم ارتياح القياداة العسكرية من الترتيبات الجديدة التى أثرت على دور مجلس الدفاع - وفى محاولة منة لطمانه القيادة العسكرية بان مجلس الدفاع لايزال له دوره المهم ترأس جورباتشوف اجتماعا للمجلس يوم اول سبتمبر ١٩٩٠ نوقشت فيه تقارير من وزير الدفاع وقادة القوات المسلحة حول مبادىء إصلاح عسكرى للسنوات ١٩٩٥/٩١ وحتى عام ٢٠٠٠ وكذالك اجراءات سحب القوات السوفيتية من اوروبا الشرقية ومنغوليا. وقد اكد المجلس ضرورة التغيير المستمر والعميق فى القوات المسلحة اتساقا مع العقيدة الدفاعية الجديده، مع خفض اعداد القوات . وناقش المجلس وسائل تحسين هيكل ونظام الرقابة Control systems فى القوات المسلحة والسياسة العسكرية الفنية لضمان تزويدها بالأسلحة والمعدات الحديثه اخذا فى الاعتبار برامج تحويل الصناعة العسكرية: وتم الاتفاق على تحسين التدريب، والإنتقال التدريجى إلى زيادة الاستعانة بالخبراء على اساس تعاقدى والاعداد لخفض فترة الخدمة العسكرية العادية، والاهتمام بالاحوال المعيشية للجنود وعائلاتهم. وكلف الرئيس جورباتشوف المجلس بتعديل نظام التجنيد على ضوء المناقشات التى دارت توطئه للتقدم به إلى مجلس السوفييت الاعلى (برقية السفاره رقم ١٨٨٨ بتاريخى ١٩٩٠/٩/٣) .

على اية حال فان صلاحيات واختصاصات الاجهزة العليا المسئولة عن سياسة الدفاع فى الدولة فى حالة هلامية فضفاضة يكتنفها الغموض وتحتاج إلى تحديد وتعريف واضحين "اما بالنسبة للجنة الدفاع والامن بمجلس السوفييت الاعلى فانها ضعيفة فى مجال صنع السياسة العسكرية الا إذا تمكنت من اصدار قوانين جديدة مهمة فى السياسة العسكرية خاصة المؤثرة منها على تخصيص الموارد والاعتمادات للقوات المسلحة.

<u>وامتدت التغييرات فى التنظيم العسكرى لتشمل القيادات العسكرية للقوات المسلحة</u> . وإذا كانت الاركان العامة للقوات المسلحة مستمرة فى القيام بدورها كجهاز تنفيى للقيادة العسكريه العليا ، فان هذا الدور الذى بنته منذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الستينيات يجرى تقليصه بعض الشئ. ولعل التغيير الذى حدث فى عام ١٩٨٩ لـــه دلالته فى هذا الصدد. فمنذ العام الماضى لم تعد قوات حرس الحدود ولا قوات الأمن الداخلى (MVO) ولاتشكيلات المخابرات (K G B) ولاقوات السكك الحديديه جـــزءا من القوات المسلحة . وإذا كانت الأركان العامه قد اضطلعت بدور كبير بسلطتهـــا على معظم الوحدات العسكرية اثناء الحرب العالميه الثانية، وتقليص هذه السلطة بعد الحرب، فانها استعادت هذا الدور المسيطر مرة اخرى مع نهاية الستينيـــات واكدت دورها العمليات Operational بالنسبة لاوجه الإنشطة العسكرية بصفة عامـــة وليس مجرد انشطة القوات المسلحة تحت وزارة الدفاع والسيطرة على العمليـــات Operational Control يقصد بها فى الاساس استخدام القوات المسلحة كما حدث فـــى مواجهة الاضطرابات فى جمهورية جورجيا السوفيتية ـ وفى ظل الوضع الجديد الـــذى نشأ بالتغيير الذى حدث فى عام ١٩٨٩ فان الاركان العامة لاتملك توجيه قوات الـــ K 6 B وقوات حرس الحدود وقوات الامن الداخلى التابعه لوزارة الداخلية وقـــوات السكك الحديدية، التى اصبحت تتبع مباشره مجلس الدفاع وهذا يعنى ان جورباتشوف يملك دورا مباشرا فى استخدام هذه القوات وتوجيهها .

كما حدث تغيير اخر يتعلق بقوات الامن الداخلى وهو انشاء قوات للاغـــراض الخاصه Special - Purpose Detachments فى مدن سوفيتية عديدة للتعامل مـــع المظاهرات والاضطرابات، وتاتى القوات العاملة فيها اساسا من افراد الخدمـــة السابقين بالقوات المسلحة والجنود الذين يبلغ متوسط اعمارهم فوق الثلاثيـــن عاما، وتتلقى هذه القوات تدريبا شاملا حول كيفية مواجهة المتظاهرين بالحـــاق اقل ضرر ممكن بهم .

وبالنسبة للخفض فى عدد المناطق العسكرية فقد نشرت جريدة الازفستيـــا بتاريخ ٣ يونيو ١٩٨٩ عن خفض المناطق العسكرية Military Districts التى تغطى كافة اراضى الاتحاد السوفيتى من ١٦ إلى ١٤ منطقة وذلك بدمج المنطقة العسكريـــة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاسيا الوسطى ومنطقة الأورال وضمها للمناطق العسكرية المجاورة . كذلك اشار "يازوف" وزير الدفاع السوفيتى فى تصريحات لنفس الجريدة بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٨ إلى ان التغيير شمل هياكل القوات المتمركزة بمناطق الحدود بان وضع بها وحدات واسلحة دفاعية بحته . وعلى مستوى عدد الفرق العسكرية Divisions فقد صرح جورباتشوف أمام مجلس السوفييت الاعلى بأنه تم تسريح عدد ١٠١ فرقه ، ولكن سرعان ما ثار هذا الرقم تساؤلات عديدة بعدها ذكر متحدث سوفيتى ان جورباتشوف كان يقصد ١٠١ وحدة Unit وليس فرقة . وإذا اخذنا فى الاعتبار التقليد السوفيتى الذى يحتفظ بعدد ضخم من الفرق بنسبة من ١٠ ـ ١٥٪ من هذا النوع فانه فى هذه الحالة يمكن ان يشمل الخفض المذكور ١٠١ فرقة من هذا النوع. وفى تصريحات "ليازوف" وزير الدفاع لجريدة النجم الاحمر بتاريخ ١٩٩٠/٦/٥ ذكر ان تم خفض عدد ٢١ فرقه من اجمالى الفرق السوفيتية وجيش - Two army Corps & Two Comvined arms armies وعدد من التشكيلات والوحدات من فروع الخدمة الاخرى. وصرح "يازوف" لصحيفه الازفستيا بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٨ ان من الملامح الاخرى لاعادة بناء وهيكلة الفرق السوفيتية ازالة ٣٠٪ من الدبابات من الفرق Motorized rifle فى شرق اوروبا . ولكن ليس واضحا التشكيل النهائى الذى ستكون عليه الفرق، كما أنه من غير الواضح ايضا ما إذا كان هذا التغيير فى الهيكل ينطبق فقط على الفرق السوفيتية فى شرق اوروبا ام أنه سيطبق على الجيش السوفيتى ككل.

<u>الى جانب ماسبق حدثت تغييرات هيكلية اخرى نتيجة خفض جورباتشوف للقوات من جانب واحد</u> فبالاضافة إلى سحب ست فرق دبابات من شرق اوروبا بدأ الاتحاد السوفيتى بالفعل تنفيذ الخفض من جانب واحد الذى اعلن عنه جورباتشوف أمام الأمم المتحدة فى ديسمبر ١٩٨٨ ويشمل خفض ١٠ آلاف دبابه (٥٣٠٠ منها من شرق اوروبا) و ٨٥٠٠ قطعه مدفعيه وعدد ٨٠٠ طائره حربية (٢٦٠ منها من شرق اوروبا)، وسحب بعض الوحدات الجوية الهجومية ومعدات العبور الهجومية من شرق اوروبا ايضا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفى اطار التاكيد الجديد على تنفيذ العقيدة العسكرية الدفاعية تخطط القيادة السوفيتية لزيادة ورفع قدرات الدفاع الجوى والدفاعات المضادة للدبابات ومعدات عرقلة تقدم العدو. كما آشار البعض عند مناقشة هذه الجهود مفهوم المناطق المحصنة "لدعم القدرات الدفاعية للقوات السوفيتية وقوات حلف وارسو" .

يسمح لنا العرض السابق للملامح الرئيسيلا للتغييرات التنظيمية والهيكلية فى القوات المسلحة السوفيتية بالاشارة إلى عدد من الاتجاهات والاشار يمكن اجمالها فى الاتى :

- ان التغييرات المقترحة كبيرة ولو نفذت فانها ستتجاوز الشكل لتمس الجوهر. فقد ادخلت هذه التغييرات على مستوى القمة قدرا كبيرا من عدم التيقن والغموض بالنسبه لمسئوليات السياسة الدفاعيه للبلاد . وبالنسبة للجنة الدفاع والامن بمجلس السوفييت الاعلى فانها تملك نظريا على الاقل الامكانية والقدرة الاكبر على احداث تغيير جوهرى، وإذا نجحت هذه اللجنة فى السيطرة على التمويل فان هذا سيشكل تحولا جذريا. ولكن من الصعوبة بمكان تصور ذلك فى ظل استمرار النظام الاقتصادى الحالى فى البلاد .
- لاتزال الاركان العامة تحتفظ دور مسيطر على قوات وزارة الدفاع رغم فقدانها لسلطتها العملياتية operational على قوات حرس الحدود التابعة للمخابرات وقوات الامن الداخلى وقوات السكك الحديدية .
- واضح ان التغييرات التنظيمية بالشكل الذى اشرنا إليه تحد من القدرة على القيام بعمليات سريعة واسعة النطاق على مستوى مسرح العمليات الاستراتيجى. فخفض الاسلحة والقوات من جانب واحد فى شرق اوروبا يقلل من قدرة الغربية العليا على شن هجوم سريع، وستحتاج إلى وقت اكبر للتعبئة، كما ان بعض الوحدات التى اعيد تنظيمها قد لاتكون فى وضع يمكنها من المشاركه فى تنفيذ اختراق هجومى فى العمق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بالرغم من خفض هياكل القوات فان هذا الخفض صاحبه حملة تدعو إلى "الكيف في مواجهة الكم" فى مجال تحديث القوات المسلحة السوفييتية. ويثور التساؤل حول ما إذا كان التحديث يهدف إلى انشاء قوات بقدرات غير هجومية من عدمه خاصه فى ظل ثورة التكنولوجيا التى عقدت من عملية التمييز بين ما هو هجومى ودفاعى .

يمكن القول اجمالا ان جورباتشوف تمكن من فرض مجموعة من الاصلاحات الجذرية على القوات المسلحة ويبدو أنه مصر على مواصلة الشوط إلى مداه. ولكن النتائج النهائية تتوقف بطبيعة الحال على ما إذا كانت إصلاحاته الشاملة ستتجاوز نقطة اللاعودة ام لا، فان هى تجاوزتها فاننا يمكن حينئذ الحديث عن تحولات جذرية بعيدة المدى فى المستقبل .

العلاقة بين الحزب والقوات المسلحة :

يثور تساؤل رئيس خطير بخصوص العلاقة بين الحزب والقوات المسلحة وهو هل يستطيع جورباتشوف مواصلة البيريسترويكا العسكرية دون ان يخلق ازمة فى هذه العلاقة ؟ يتنبأ الكثيرون فى الغرب بان جورباتشوف ان آجلا ام عاجلا سيقع ضحية انقلاب يقوم به العسكريون ضده. والعلاقه بين الحزب والقوات المسلحة دائما موضع جدل كبير فى الغرب رغم استمرارية الإنصهار الذى حدث لهذه العلاقة منذ العقد الاول من عمر النظام السوفيتى. ورغم تعدد الاراء التى قيلت فى خصوص هذه العلاقة فانها تدور فى الاساس حول آراء ثلاثة :

الرأى الاول يرى أنه فى ظل تعددية المؤسسات فى السياسة السوفيتية التى ينوى جورباتشوف اقرارها على حساب سيطرة الحزب واحتكارة للسلطه فان المؤسسة العسكرية ستميل إلى اتخاذ مواقف استقلاليه. ولو صدق هذا الرأى فان القوات المسلحة لن تسمح بتغييرات جوهرية فى السياسة العسكرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرأى الثانى يذهب إلى ان العلاقة بين الحزب والقوات المسلحة ـ على استمراريتها ـ لاتخلو من التنازع والخلاف بخصوص سيطره وسطوة الحزب وهذا يعنى قوات مسلحة نشطة سياسيا يمكنها رفض مبادرات جورباتشوف لخفض الاسلحة والقوات من جانب واحد .

اما الرأى الثالث فيرى انسجاما وتطابقا أساسيا بين قيم الحزب وقيم القوات المسلحة والايديولوجية بل يرى ان الجيش ليس فى واقع الامر الا وحدة فرعية فى داخل الحزب اى ان القوات المسلحة هى المكون العسكرى للحزب its military component وإذا شارت نزاعات أو خلافات ـ وهذا طبيعى ـ فهى نزاعات داخل الحزب . وطبقا لهذا الرأى فان جنرالات الجيش والمارشالات يعتبرون من المنفذين المطيعين للحزب. فضلا عن ان شبكة الحزب وقيادة البوليس فى داخل القوات المسلحة تكفل سلوكا عسكريا خاضعا وتابعا للحزب. والموقف المطيع الملتزم من جانب القيادة العسكرية ازاء التحولات الجذرية التى فرضها جورباتشوف على القوات المسلحة منذ عام ١٩٨٥ تؤكد صحة هذا التفسير للعلاقات بين الحزب والقوات والمسلحة. ويتبنى هذا الرأى كثير من الخبراء الامريكيين فى الشئون العسكرية ومنهم الجنرال W.E.Odom مدير دراسات الامن القومى بمعهد هدسون واستاذ العلوم السياسية بجامعة ييل .

ورغم ان بعض القادة العسكريين بدأوا يظهرون بعض المقاومة العلنية العامة لجورباتشوف ويعبرون عن ضيقهم من الاثار الضارة التى يمكن ان تنطوى عليها سياسة العلنية واعادة البناء ليس فقط فى تطبيقها على القوات المسلحة بل فى تطبيقها على المجتمع ككل ، فان العسكريين لايزالون يتبعون الاوامر وينفذون الاصلاحات.

ولعل من المواقف البارزه الدالة على ظهور بعض المقاومة العلنية لجورباتشوف ما جاء ببيان العسكريين السوفييت من ان سياسة جورباتشوف اضعفت قدرة الدولة الدفاعية . وقد تناول جورباتشوف هذا البيان بالرفض فى معرض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اجابته عن اسئلة اعضاء مؤتمر الحزب الشيوعى لروسيا الاتحادية فى يونيو ١٩٩٠. فقد ذكر جورباتشوف ان قيادة الدولة تتصرف على اساس عقيدة الكفاية المعقولة، وأنه لايتفق مع ماجاء بالبيان من ان هناك تجاهلا لمصالح الدفاع عن الدولة، وان ذلك لايتفق مع الحقيقة. واضاف جورباتشوف بان الجيش يجب ان يصبح عصريا ويضم افرادا اكفاء وان تكون لديه اسلحة متقدمة. وان كل شئ يجرى عمله فى مجال البحث لتحقيق المهام طويلة الاجل التى من شانها الحفاظ على الكفاية العسكرية. وفى الوقت نفسه فانه يجب تذكر ان نصيب الإنفاق على القوات المسلحة يصل إلى ١٨٪ من الدخل القومى. وفى هذا الصدد فانه يقدر عاليا عملية نزع السلاح التى بدأت تؤتى ثمارها بالفعل. وذكر جورباتشوف أنه امر طبيعى حقيقة ان البيريسترويكا قد أثرت فى مؤسسه هامه جدا مثل الجيش السوفيتى ، ولكن هذا لايعنى باى حال من الاحوال أنه يجب التقليل من الاهتمام بالقوات المسلحة (برقيه السفارة رقم ١٣٩٣ بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦).

واجمالا فاننا نتفق مع الرأى بان علاقات الحزب والقوات المسلحة هى علاقات انسجام وتلاقى ايديولوجى حتى فى اكثر مراحل تنفيذ البيروبيسترويكا حرجا. ولكن لايعنى ماسبق بالضرورة ان تلاقى المصالح سيستمر .

واحد انجازات البيريسترويكا البارزة حتى الإن هى تطهير الحزب بما فى ذلك كبار العسكريين. ولكن خلافا للتطهيرات السابقة فان هذه المرة لاتدعم الحزب بل تضعف من شانه ومعنوياته. وفى نفس الوقت فان اعادة تنظيم هيكل الدولة واجهزتها وخلق مؤسسات متعددة مثل مؤتمر نواب الشعب المنتخب ومجلس السوفييت الاعلى والرئاسة كل هذا يخلق غموضا وتداخلا حول مركز السلطة الحقيقة والواجبات والاختصاصات والمسئولية عنها. وهذه التطورات تثير تساؤلات جوهرية حول مدى استمرار فاعلية الصهر بين الحزب والقوات المسلحة - فطبقا لوكالة تاس (١٩٨٩/١٠/٤) لاتزال ادارة مكافحه الجاسوسية التابعة للـ K G B تعمل بالقوات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلحة رغم ثبوت تورطها وفسادها فى بعض الوحدات كذلك لايزال الجهاز العسكرى بالحزب Party - Militaty Admimitration قائما وان كانت معنوياته منخفضة ويتخلى عن دوره لصالح مؤسسات جديدة مثل مؤتمرات وجمعيات الضباط القانونيين. كذلك من المسائل التى اضعفت دور الحزب إلى حد ما ظهور سخط فى صفوف صغار الضباط. فهم يظهرون اغترابا ليس فقط عن الحزب ولكن ازاء كبار الضباط ايضا ومن ثم فهم مستعدون لمساندة مصلحيين مدنيين لاصلاح السياسة العسكرية جذريا.

وفى اخر تطور متصل اصدر الرئيس جورباتشوف يوم ١٩٩٠/٩/٤ قرارا باعادة تشكيل الاجهزه السياسية فى كل من القوات المسلحة السوفيتية، وقوات لجنه الدولة للامن K G B ووزارة الداخليه وفرق السكك الحديدية حيث ستتحول إلى اجهزه سياسية وعسكرية تعمل على تطبيق سياسة الدوله فيما يخص الدفاع والامن وتعليم الجنوب وتوفير الحماية الاجتماعية لهم. وقد صدرت التعليمات إلى كل من وزارة الدفاع السوفيتية والادارة السياسية بالجيش والبحرية السوفيتية وكذلك لجنة الدولة للامن ووزارة الداخلية لاعداد مشروع لائحة لعمل الاجهزة السياسية والعسكرية فى غضون ثلاثة اشهر وتقديمها لبحثها. وقد اشارت وكالة تاس إلى ان قرار الرئيس السوفيتى يتفق مع التغييرات الدستورية التى اقرها المؤتمر لنواب الشعب السوفيتى ومع سياسة تحديد وظائف ومهام كل من الحكومة والحزب ، وسوف يتم تنفيذ القرار فى اطار عملية الاصلاح الجارية فى الجيش اخذا فى الاعتبار المهام الملقاة على عاتق كل من البحرية والجيش .

ونشرت صحيفه النجم الاحمر تصريحات مدير الادارة السياسية بالجيش والبحرية يوم ١٩٩٠/٩/٦ التى ذكر فيها ان قرار اعادة تشكيل الاجهزة السياسية بالقوات المسلحة السوفيتية سيكون من شانه تحديد مهامها وكذلك مهام منظمات الحزب داخل الجيش. وان هذه الاجهزة ستتمتع بنفس وضع مؤسسات سلطات الدولة، وسيقوم نشاطها على اساس تحددة سياسة امنية ودفاعية تتبناها الدوله رسميا. واضاف ان الاجهزة السياسية الجديدة بالجيش لن تكون من مهامها ادارة المنظمات الحزبية وتلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصه برابطة الشباب الشيوعى ، وسوف تركز على عملية التثقيف السياسى والعمل الايدولوجى والثقافى ودعم الإنضباط العسكرى، وتنمية روح الولاء المطلق للشعب والشعور بالمسئولية الشخصية عن الدفاع عن الوطن الاشتراكى مع القيام بالوجبات العسكرية، كذلك فسوف توفر تلك الاجهزه الحماية الاجتماعية للعسكريين وعائلاتهم، وسوف يتم انشاء ادارات اجتماعية وسيكولوجية فى الوحدات (برقية السفارة رقم ١٩٢٢ بتاريخ ١٩٩٠/٩/٨).

وحتى لانتوه فى خضم جوانب الاصلاح المختلفة التى تناولتها فى العرض السابق اود ان أنهى هذه الدراسة بملاحظات ختامية تلخص الملامح الاساسية للاصلاح العسكرى وآثاره على المؤسسه العسكرية السوفيتية :

١) تشهد القوات المسلحة السوفيتية تحولات عميقه ربما تعادل ان لم تفق فى حجمها ونطاقها وتاثيرها التحولات التى حدثت فى العقيدة التى رسمت الخطوط الاساسية للقوات المسلحة وهياكلها العسكرية / السياسية والعسكرية / الاقتصادية حتى يومنا هذا. هذه التحولات لاتؤثر على القوات المسلحة فحسب وانما تؤثر على المجتمع باسره. كما ان النجاح فى عدد من المجالات الرئيسيه الاخرى لاصلاحات جورباتشوف يتوقف إلى حد كبير على تنفيذ الاصلاحات العسكرية بنجاح.

٢) غير ان الامر ليس سهلا بالنظر إلى العواقب المحتملة لاصلاحات جورباتشوف الاوسع وتاثير ذلك على الاصلاح العسكرية. فنجاح جورباتشوف حتى الإن فى تبرير عدم الحاجة إلى قوة عسكرية ضخمه للدفاع عن مصالح السياسة الخارجية السوفيتية باستخدام سياسة العلنية والبيريسترويكا هذه الاستراتيجية نفسها هى التى ولدت تطورات سياسية داخلية سلبية بالنسبه للقوات المسلحة. فتنامى المشاعر القومية والعرقية والإنفصالية المتطرفة فى عدد من الجمهوريات السوفيتية يمكن الاستناد إليه بدوره لتبرير الابقاء على قوات ضخمه يمكن التعويل عليها سياسيا (تحدث بعض السوفييت فى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استفتاء للرأى العام اجرى فى الشهر الحالى عن انشاء قوة من الجمهوريات المختلفة.

على غرار الامم المتحدة للحفاظ على النظام والامن ومواجهة الاضطرابات العرقية والقومية). ومن ناحيه اخرى فان سياسة العلنية والبيرويستروبكا نفسها تضعف من امكانية الاعتماد سياسيا على مثل هذه القوات. ورأينا ذلك بوضوح فى تدخل الجيش فى باكو عاصمة جمهورية اذربيجان الاسلامية فى يناير ١٩٩٠ حيث لايريد اهل الجنود الروس والاوكرانيين إرسالهم إلى مثل هذه المناطق. كما لايزال قادة القوات المسلحة يتذكرون بمرارة الحملة الاعلامية الشرسة الداخلية والدوليه ضد تدخل الجيش وممارساته فى جمهوريه جورجيا السوفيتية.

٣) يلاحظ ان التناقضات الناشئة عن محاولات خلق امبراطورية ليبرالية متعددة القوميات ومحاولة إصلاح النظام الاقتصادى المركزى هى نفس التناقضات التى تحدث فى مجرى إعادة بناء القوات المسلحه.

٤) مع تزايد حملة عدم الرضاء الموجهة ضد العسكريين وتزايد مقاومة الكثير من الجمهوريات للحكم السوفيتى - خاصه بعد تدخل الجيش فى احداث. جمهوريتى اذربيجان وجورجيا فى اوائل عام ١٩٩٠ وما نتج عنه من خسائر وضحايا - اضطر جورباتشوف للتراجع والقيام بانسحاب رئيسى. فلم يقدم جورباتشوف على الاستخدام المباشر للجيش فى مواجهة احداث جمهورية ليتوانيا كما فعل من قبل وانما لجأ إلى اتباع اساليب حرب الاعصاب بتحريك القوات فى الشوارع بدعوى اجراء مناورات عسكرية، وفى نفس الوقت تترك لقوات الامن الداخلى مهمة التصدى للاضرابات فى الداخل .

وقد فسر ذلك فى الداخل والخارج بانه خروج عن سياسة جورباتشوف المعلنه. كذلك اضطر جورباتشوف إلى التظاهر بخصوص بعض اوجه البيريسترويكا فى الجيش خاصه إصلاح نظام التجنيد والخدمه العسكرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com